العمارة الإسلامية من القيمة إلى الأثر

(دراسة تطبيقية على العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة)

د/ عاطف عبد الدايم عبد الحى

كلية الآثار ـ جامعة الفيوم ـ الفيوم ـ مصر

ملخص البحث : يرصد هذا البحث بعض القيم التاريخية والفنية والمعمارية التى يمكن أن نستشفها من خلال دراسة العمارة الإسلامية كما يتعرض هذا البحث للجهود التى بذلت من قبل الجهات المسئولة عن الآثار منذ ظهور هذا المصطلح مع تقييم لهذه الجهود ومدى قدرة القوانين الحديثة ـ المرتبطة بحماية العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة ـ على المحافظة عليها.

ومن هذا المنطلق فنحن ننظر إلى العمائر الإسلامية على أنها ليست مجرد مجموعة من الأحجار التى اتخذت شكلاً مميزاً لها كأشكال القباب والمآذن أو غير ذلك بل ننظر إليها على أنها تحمل فى طياتها مجموعة من السمات العامة التى تميزها عن غيرها من طرز العمارة التى عرفتها البشرية. فالعمائر الإسلامية بمدينة القاهرة ترتبط بمجموعة من القيم التاريخية والمعمارية والفنية التى كان لها دور بارز فى مجال العمران حفظته لنا الشواهد الأثرية الباقية إلى يومنا هذا ومن هنا أصبحت هذه العماتر تندرج تحت عدة مفاهيم كالتراث والموروث والأصالة والأثر.

وليس من شك فى أن القيم التاريخية والمعمارية والفنية التى تتسم بها هذه العمائر تحكى تاريخ الأمة بل أن كثيراً من هذه العمائر بقيمها المختلفة تقف شاهدة على عظمة أجدادنا وما بذلوه من جهد عملى فى سبيل الريادة التى نفتقدها الآن فى مجال العمارة وهذه الريادة أرتكزت على المبادى الإسلامية التى استقى منها المعمار أفكاره لصياغة الشكل العام لهذه العمائر.

محور المؤتمر : خصائص العمارة الإسلامية والفنون المكملة.

الكلمات المفتاحية : العمائر الإسلامية ـ القاهرة ـ القيمة ـ التراث ـ الموروث ـ الأثر

مقدمة

ليست المفاهيم الحديثة التى ترتبط بالعمارة الإسلامية وليدة العصر الحديث بل أنها قديمة أدركها الأقدمون وعرفوا ما تحمله هذه العمائر من قيم تاريخية وفنية ومعمارية ومن ذلك ما ذكره المؤرخون والرحالة عن هذه العمائر فيقول ابن بطوطة عن القاهرة : " ... المتناهية فى كثرة العمارة المتناهية بالحسن والنضارة " [1] ويقول فى موضع آخر عن أمرائها : " وكل هؤلاء يتنافسون فى أفعال الخيرات وبناء المساجد والزوايا " [2] وقال أبو القاسم الزيانى : " ... رحم الله أفاضل الملوك الذين درجوا والذين من خلفهم على مناهجهم نهجوا لقد خلدوا من المآثر الدينية ما أوجب خلود الثناء عليهم ووصول الدعاء ممن بعدهم إليهم ولم يزل أهل المشرق إلى الآن لهم فضل اعتناء ببناء المساجد والخانقاوات ويبالغون فى تعظيمها ويتأنقون فى ذلك ويبادرون إلى إصلاح ما وهى منها " [3].

وعندما زار " فرانك لويد رايت " مدرسة السلطان حسن عام 1958م قال عنها : " كيف يفكر قوم لديهم مثل هذه الروائع أن يتركوها ويستبدلوها بسوءات العمارة الغربية التى يحاول الغربيون أنفسهم أن يتخلصوا منها ؟! " [4].

ويقول جوستاف لوبون : " وما على المرء إلا أن ينظر إلى آثار العرب الأدبية والفنية ليعلم أنهم حاولوا تزيين الطبيعة دائماً وذلك لما اتصف به الفن العربى من الخيال والنضارة والبهاء وفيض الزخارف والتفنن فى أدق الجزئيات [5] وأضاف قائلاً عن مدرسة قايتباى بالقرافة : " ولو لم يكن للعرب من المبانى غير جامع قايتباى لاعتقد الناس لا ريب أنه عنوان فن لا صلة قريبة أو بعيدة بينه وبين أى فن آخر " [6].

وترتبط العمائر الإسلامية بعدة مفاهيم كمفهوم القيمة والموروث والتراث والأثر ومن هنا كان من اللازم اللازب أن نتعرض لتعريف هذه المفاهيم ومدى العلاقة القائمة بينها وأثرها على العمارة الإسلامية.

أولاً : القيمة (Value)

---

[1] () ابن بطوطة ، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1 ، بيروت لبنان ، دار الشرق العربى . د. ت ص 24.

[2] () ابن بطوطة ، المرجع السابق ، ص 31.

[3] () أبو القاسم الزيانى (1147 . 1249هـ/ 1734 . 1809م) ، الترجمانة الكبرى ، تحقيق عبد الكريم الفيلالى ، المغرب 1967م ، ص 212.

[4] () : أحمد خلف عطية ، التصميم المستحدث فى المناطق التراثية وذات القيمة منهج لرصد الطابع المعمارى لتحقيق الإستمرارية البصرية مع المحتوى حالة دراسية : حى " العزيزية " بمدينة حلب ـ سورية ، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الهندسة ،جامعة القاهرة 2003م ، ص 20.

[5] () : جوستاف لوبون ، حضارة العرب ،ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى الحلبى 1969م ، ص 506.

[6] () : جوستاف لوبون ، المرجع السابق ، ص 536.

يقال فى اللغة قيمة الشىء قدره وقيمة المتاع ثمنه ([1]) وقيم الشىء تقييماً قدر قيمته ([2]) والقيمة فى المفهوم الاجتماعى هى كل شىء مرغوب فيه عند الفرد والجماعة ([3]) وهى مفهوم فلسفى ومؤشر نسبى يعتمد على طبيعة المتلقى والظروف المكونة لشخصيته فهى المعيار الحاكم لدرجة قبول الإنسان لما حوله تبعاً لرغباته واحتياجاته ([4]) أما فى المفهوم الواقعى فتعنى كل ما يقدر قيمته ([5])

ومن هنا أصبح مفهوم القيمة مفهوماً متسعاً يشمل المجالات الحياتية المختلفة ويعبر عن مدى استحقاق الشىء ومكانته سواء كان هذا الأستحقاق يقدر تقديراً معنوياً أم مادياً أم كليهما معاً ([6]).

ومن خلال المفهوم السابق فقد قسم البعض القيمة إلى قسمين هما : القيمة الذاتية والقيمة الموضوعية ([7]) أما القيمة الذاتية (الكامنة) فهى تلك القيمة العينية للأشياء مثل قيمة الليل والنهار والهواء وهى قيمة مطلقة.

والقيمة الموضوعية ـ هى القيمة التى تخص موضوع دراستنا هنا ـ وهى تلك القيمة التى ترتبط بما يخلفه الإنسان من أثر كالعمائر أو التحف ([8]) فهى مرتبطة بالزمن وبالحكم الذى يصدره الإنسان عليها ([9]).

ولولا القيمة ما بقيت تلك العمائر الإسلامية التى تذخر بها القاهرة وغيرها من المدن الإسلامية فإذا لم يقدر المجتمع الإرث الحضارى المتخلف عن الأقدمين ضاعت مفاهيم القيمة ومن ثم تعرضت المبانى ذات القيمة إلى الأندثار واستبدلت بمبانى حديثة.

ثانياً ً الموروث والتراث (Heritage)

الموروث هو كل ما يتركه الأجداد ليصل إلى الأبناء والأحفاد ([10]) ويقترب معنى التراث فى اللغة من المعنى السابق إذ هو كل ما يخلفه الإنسان لورثته ([11]) وأصله ورث أو وارث فأبدلت الواو تاء فالتراث والإرث والورث كلها مترادفات لمعنى واحد وقد جاء فى القرآن الكريم ما يفيد هذا المعنى ([12]).

وقد ظهر مصطلح التراث الحضارى لكى يطلق على ما ورثناه من الأجداد والآباء فى صورة منجزات ثقافية وحضارية ([13]).

ويندرج التراث المعمارى (Architectural Heritage) تحت التراث الثقافى وهو يعنى مجموعة المبانى التى أثبتت قيمتها وأصالتها فى مواجهة قوى التغيير ([14]).

ويرتبط بالتراث مصطلح المناطق التراثية (Heritage Zones) وهى " المواضع التى تعبر عن ذاكرة المكان وتحوى الجانب الجمالى والثقافى ... وتشتمل على أكبر حشد من المبانى ذات القيمة الحضارية أو التاريخية " ([15]).

---

[1]() : مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، القاهرة 1999م ، ص 521.

[2]() : مجمع اللغة العربية ، المرجع السابق ، ص 523.

[3]() محمد أحمد بيومى ، علم اجتماع القيم ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية 1991م ، ص 146.

[4]() : محمد نبيل محمد غنيم ، الإنطباعات البصرية للعمارة ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 1999م ، ص 188.

[5]() : أمانى السيد عبد الرحمن أحمد الريس ، المواثيق والتوصيات الدولية للتعامل مع التراث المعمارى والعمرانى ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 2002م ، ص 6.

[6]() : لبنى عبد العزيز أحمد مصطفى ، الأرتقاء بالنطاقات التراثية ذات القيمة توثيق وتقييم لتجارب الحفاظ فى القاهرة التاريخية ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 2001م، ص 15.

[7]() : فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، القاهرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر 1986م ، ص 52.

[8]() : أحمد خلف عطية ، المرجع السابق ، ص 5.

[9]() : محمد نبيل محمد غنيم ، المرجع السابق ، ص 188.

[10]() : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 9.

[11]() : مجمع اللغة العربية ، المرجع السابق ، ص 664.

[12]() : من ذلك قوله سبحانه وتعالى : { يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً } سورة مريم ، آية رقم 6 .

[13]() : جمال عبد الغنى ، تنسيق المواقع بالأماكن التاريخية ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة الإسكندرية 1990 ، ص 29 ؛ أحمد خلف عطية ، المرجع السابق، ص 12.

[14]() : عمرو مصطفى الحلفاوى ، مدخل إعادة التوظيف كأحد توجهات عملية الحفاظ الحضارى فى الدول النامية ، المؤتمر العلمى الدولى الرابع ، كلية الهندسة ، جامعة الأزهر 1995م ، ص 324 ؛ لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 7 ؛ أحمد خلف عطية ، المرجع السابق، ص 16.

[15]() : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 11 ؛ أحمد خلف عطية ، المرجع السابق ، ص24.

كما يرتبط التراث إرتباطاً واضحاً بالأصالة إذ أن التراث هو الذى يكون الأصالة والأصالة مشتقة من أصل الشيء وجذوره وهى تعنى الهوية الثقافية التى تميزنا عن الآخرين .

ويرتبط التراث أيضاً بالمعاصرة والمعاصرة تعنى " التفاعل الإيجابى مع الحضارة الراهنة ومنجزاتها ومعاييرها العلمية والفكرية والتكنولوجية والفلسفية والأخلاقية والسياسية " ([1]).

ثالثاً : الأثر (Monument)

شهد عام 1912م صدور أول قانون عام للآثار المصرية القديمة والقبطية وهو قانون رقم (14) لعام 1912م والذى ينص فى أهم بنوده على ملكية الآثار للحكومة المصرية كما تضمن أول تعريف للآثار كما يلى : " يعد أثراً كل ما أظهرته وأحدثته الفنون والعلوم والآداب والديانات والصنائع فى القطر المصري من عهد الفراعنة وملوك اليونان والرومان فى الدولتين الغربية والشرقية والآثار القبطية وما هو مهجور من كنائس وأديرة وحصون وأسوار ومدن وبيوت وحمامات .... ألخ " ([2]).

وشهد عام 1918م صدور قانون رقم 8 لعام 1918م والخاص بحماية الآثار العربية فى الفترة ما بين الفتح العربى إلى نهاية عصر محمد على وقرر القانون تطبيق جميع أحكام وقرارات القانون العام للآثار الصادر عام 1912م ([3]).

وفى عام 1951م صدر قانون الآثار المصرى رقم 215 لسنة 1951م والذي تضمن حماية الآثار المصرية والقبطية والإسلامية حتى نهاية عصر الخيوي إسماعيل بعدما كانت محددة فى قانون عام 1918م بنهاية عصر محمد على وهو أول قانون يلزم الدولة بترميم الأبنية الأثرية وذات القيمة.

أما التعريف القانونى للأثر كما تنص عليه المادة رقم 1 من القانون رقم 117 لعام 1983م فهو كما يلى : " يعتبر أثراً كل عقار أو منقول أنتجته الحضارات المختلفة أو أحدثته الفنون والعلوم والآداب والأديان من عصر ما قبل التاريخ وخلال العصور التاريخية المتعاقبة حتى قبل مائة عام متى كانت له قيمة أو أهمية أثرية أو تاريخية باعتباره مظهراً من مظاهر الحضارات المختلفة التى قامت على أرض مصر أو كانت لها صلة تاريخية بها وكذلك رفات السلالات البشرية والكائنات المعاصرة لها "([4]) ومن هنا نرى أنه يدخل ضمن مصطلح الآثار صنوف كثيرة من المنتجات الفكرية للحضارات وكلها تتجمع حول القيمة الفنية أو الأهمية التاريخية وتتصف بالقدم ([5]).

وفى عام 1992م صدر القانون رقم 12 لسنة 1992م وينص على تعديل بعض أحكام القانون رقم 117 وفى عام 1998م صدر القانون رقم 2 لعام 1998م وفيه أمر الحاكم العسكرى بمنع هدم أية مبانى أثرية كالقصور أوالفيلات

وخلاصة القول هنا أن المصطلحات الثلاثة السابق ذكرها هى فى الحقيقة صور مختلفة لشيء واحد فالمبنى يكون موروثاً إذا لم يتح له أن يكون فى دائرة التراث وذلك لعدم الاهتمام المناسب به والتراث هو فى الواقع موروث دخل فى دائرة الاهتمام ، متتابعة سببية (نح ذلك فى صورة

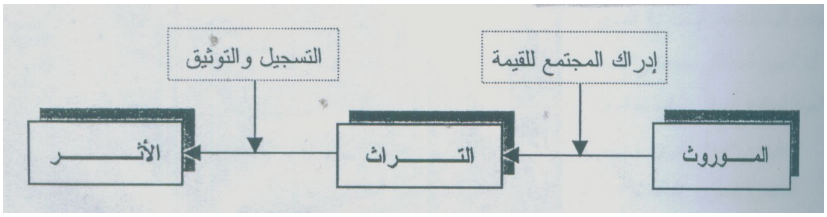

شكل رقم (1) العلاقة بين الموروث والتراث والأثر (عن أحمد خلف عطية)

القيم المرتبطة بالعمائر الإسلامية بمدينة القاهرة

---

[1]() : أحمد خلف عطية ، المرجع نفسه ، ص 15.

[2]() : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 34.

[3]() : أحمد عبد الوهاب السيد ، صيانة وإعادة استخدام المبانى الأثرية وذات القيمة ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 1990م ، ص199، لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 34.

[4]() : لبنى عبد العزيز ، المرجع نفسه ، ص 9. ؛ أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 1.

[5]() : معاذ أحمد محمد عبد الله ، تزايد حد الحماية فى المواثيق الدولية للآثار ، مؤتمر الأزهر الهندسى الدولى السادس 1 . 4 سبتمبر 2000م ، من ص 518 إلى ص 528 ، ص 519.

[6]() : أسامة حلمى ، الحفاظ على الموروث المعمارى فى المدينة المصرية ، مخطوط رسالة ماجستير ،كلية الهندسة بالمنيا 1996م ، ص ص 4 5 .

صنف المعمارى روى ورسكت (Roy Worskett) القيم التى تحملها العمائر إلى عشر قيم هى : القيمة المعمارية ـ القيمة التاريخية ـ القيمة الرمزية ـ القيمة الأثرية ـ القيمة الفنية ـ القيمة السياسية ـ القيمة الاجتماعية ـ القيمة الاقتصادية ـ القيمة الروحية ([1]) واختصر البعض هذه القيم إلى ثلاث هى : القيمة التاريخية (التسجيلية) والقيمة الفنية (الجمالية) والقيمة العملية (الوظيفية) ([2]).

وقد أمكن من خلال العرض السابق أن نحصر القيم المرتبطة بالعمارة فيما يلى :

أولاً : القيمة التاريخية (التسجيلية) (Historical Value) للعمائر الإسلامية

يحلو للبعض أن يقسم العمائر إلى قسمين أولهما : العمائر الأثرية (Architectural Monuments) والثانى هو العمائر ذات الصفة التاريخية (Historical Buildings) وهو تقسيم شائع فى معظم بلدان العالم حيث تشير المبانى الأثرية التراثية إلى قيمة فنية أما المبانى التاريخية فهى لا تشير إلى قيمة فنية ولكنها ترتبط بحدث تاريخى مهم ([3]).

ولكننا نرى أن العمارة الإسلامية تضم ـ بصفة عامة ـ قيمة تاريخية وفنية فى نفس الوقت وهما متداخلان مع بعضهما.

ويعتمد قياس القيمة التاريخية على مؤشرين هما : الأول : المؤشر الزمنى وهو ما يعبر عنه بتاريخ إنشاء المبنى أو الأثر ويعتمد قانون الآثار المصرى على هذا المؤشر فى تسجيل الآثار أما المؤشر الثانى فهو المؤشر الرمزى : ويتمثل فى كون العمل الفنى يعكس حضارة أو نتيجة لحدث معين ([4]).

وقد أدرك مشيدو العمائر الإسلامية القيمة التاريخية لهذه العمائر فتسابقوا فى تشييد العمائر التى تخلد أسمائهم وتمجد عصورهم بل إن بعضهم أشار إلى ذلك صراحة ومن أمثلة ذلك ما ذكره المؤرخون من روايات حول بناء جامع أحمد بن طولون (شكل رقم 2) فقد ذكر القضاعى أن أحمد بن طولون قال : " أريد أن أبنى بناء إن احترقت مصر بقى ، وإن غرقت بقى ... " ([5]).

ومن هنا نرى كيف أدرك أحمد بن طولون قيمة البناء التاريخية بالمحافظة على الجامع من الحرائق أو أية كوارث قد تتسبب فى هدمه.

وقيام كثير من الخلفاء والأمراء بإصلاح المنشآت الإسلامية التى سبق أن شيدها غيرهم يدل دلالة واضحة على إدراكهم لقيمة هذه المنشآت ومن الأمثلة التى تدل على معنى القيمة فى العصر الإسلامى ما قام به الخليفة الفاطمى العزيز بالله من تجديد لميضأة جامع ابن طولون عام 385هـ/995م وكذلك ما قام به السلطان لاجين من إصلاحات بجامع ابن طولون أيضاً (شكل رقم 2) وتشييده للمحراب الرئيسى والقبة ([6]) التى تعلو المحراب والمنبر والفسقية والمئذنة ([7]) والسبيل الذى جدده بعد ذلك السلطان قايتباى ([8]) وكل هذا يدل على قيمة زمنية أخرى مختلفة عن عصر الإنشاء وهكذا يتضح هنا أن بعض العمائر الإسلامية بالقاهرة تتداخل فيها القيم الزمنية والتاريخية.

ومما يؤكد ما سبق قوله ما حدث نتيجة لزلزال عام 702هـ/1302م الذى تسبب فى سقوط أجزاء كثيرة من جامع عمرو (شكل رقم 3) والجامع الأزهر (شكل رقم 4) وجامع الحاكم (شكل رقم 5) وغيرها من المساجد بمصر فقام أمراء المماليك بأصلاح هذه العمائر وترميمها ([9]).

ومما يؤكد أهمية القيمة التاريخية عند القدماء هو رغبة الكثير منهم فى تخليد ذكراهم على تلك المنشآت ذات القيمة المعمارية الكبيرة فسجلوا أسمائهم على عمائر لم يتيسر لهم تشييدها كما فعل السلطان جقمق والسلطان قايتباى ([10])

---

[1] Worskett (R), The Character of the towns, An approach to conservation architectural. Press, London 1970. p 12.

لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 18 .

[2] : لبنى عبد العزيز ، المرجع نفسه ، ص 18.

[3] : معاذ أحمد ، المرجع السابق ، ص 519.

[4] : أحمد خلف عطية ، المرجع السابق، ص ص 7 . 8.

[5] : المقريزى ، المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ، مكتبة الثقافة الدينية ، د. ت ، ، ج2 ، ص 266 .

[6] : عن القبة انظر : Lobna A. Sherif ,The Changing Significance of Domes in Cairo, Al_Azhar Engineering Sixth International Conference , September 1 – 4 2000. pp 355- 362

[7] : المقريزى ، المصدر السابق ، ج 2، ص 268.

[8] : حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج1 ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1993م ، ص 38.

[9] : المقريزى ، المصدر السابق ، ج 2، ص 276.

[10] : الصيرفى (على بن داود الجوهرى) ، إنباء الهصر بأنباء العصر ، تحقيق حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2002م ، ص ص 216 . 217.

كما قام الأمير يشبك من مهدى ببعض الأعمال للمحافظة على العمائر الإسلامية وذلك فى أوائل عام 882هـ/ 1477 - 1378م ([1]) وكان ذلك بالطبع لتقديره لقيمة هذه العمائر.

كما يدل حرص كثير من سلاطين المماليك على المحافظة على القيمة المعمارية للعمائر الإسلامية بالقاهرة أنهم قاموا بمحو أسماء أعدائهم المسجلة على عمائرهم دون أن يتعرضوا للمبنى نفسه بالإزالة وإن كان العامل الدينى له أثره فى ذلك ([2]) وهذا ما فعله السلطان الناصر محمد بن قلاون فى خانقاة بيبرس الجاشنكير (706 - 709هـ/ 1306 - 1309م) (شكل رقم 6) ([3]).

كما قام السلطان الناصر فرج بن برقوق (801 - 815هـ/ 1398 - 1412م) بإزالة اسم الأمير جمال الدين الأستادار من النص الكتابى لمدرسته بالجمالية ([4]) (811هـ/ 1408م) (شكل رقم 7).

وقام السلطان الظاهر جقمق (842 - 857هـ/ 1438 - 1453م) بمحو اسم السلطان الناصر فرج بن برقوق من مسجد الإمام الليث الذى كان قد جدده عام 811هـ/ 1408م ([5]).

شكل رقم (2) : جامع ابن طولون منظر عام للصحن والأروقة

شكل رقم (3) : جامع عمرو بن العاص

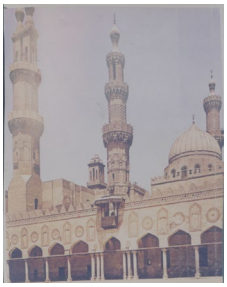

شكل رقم (4) : الجامع الأزهر

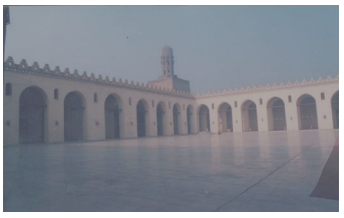

شكل رقم (5) : جامع الحاكم بأمر الله

شكل رقم (6) : واجهة خانقاة بيبرس الجاشنكير

شكل رقم (7) : واجهة مدرسة جمال الدين الأستادار

القيمة التاريخية والنقوش الكتابية

مما لاشك فيه أن النقوش الكتابية المسجلة على العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة قد لعبت دوراً كبيراً فى مجال القيمة التاريخية إذ أن معظم هذه العمائر تحمل تاريخ إنشائها واسم مشيديها.

ومن أبرز القيم المرتبطة بالنقوش الكتابية المسجلة على العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة تنوع تلك النقوش من حيث نوع الخط فسجلت النصوص الكتابية بالخط الكوفى والنسخ والثلث وهى تمثل مراحل زمنية مختلفة كما ساعدت هذه الكتابات المتنوعة فى التعرف على تطور الخط العربى نفسه الذى لعب دوراً كبيراً فى المحافظة على القيمة.

وتسجيل النصوص الكتابية على العمائر الإسلامية يساعد فى تأريخ الآثار بشكل دقيق كما أنه يمكن الأستفادة من النصوص الكتابية الإسلامية المؤرخة المسجلة على العمائر فى تأريخ بعض العمائر الأخرى غير المؤرخة ([1]) على أساس مقارنتها بالمؤرخ المشابه لها أو القريب من أسلوبها ([2]) ونسبة المبنى إلى منشأه وكل ذلك يبرز القيمة التاريخية للمبنى.

([1]) : المقدسى (أبى حامد) ، الفوائد النفيسة الباهرة فى بيان حكم شوارع القاهرة فى مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة ، تحقيق آمال العمرى ، هيئة الآثار المصرية 1988م ، ص 11.

([2]) : أراد السلطان الناصر فرج بن برقوق هدم مدرسة جمال الدين الأستادار فحذره كاتب السر فتح الدين فتح الله من ذلك لأنه مخالف للشرع وحسن له محو اسم جمال الدين الأستادار فقط ففعل الناصر محمد بن قلاون ذلك . المقريزى ، المصدر السابق ، ج 2، ص 403.

([3]) : المقريزى ، المصدر نفسه ، ج 2، ص 416 ؛ محمد حمزة الحداد ، النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، المجلد الأول ، مكتبة زهراء الشرق 2002م ، ص ص 112 . 113.

([4]) : المقريزى ، المصدر السابق ، ج 2، ص 403.

([5]) محمد حمزة الحداد ، المرجع السابق، ص 113.

وتعطينا النصوص التأسيسية لهذه العمائر دلالات واضحة على هذه القيمة وقد تميزت أيضاً بتحديد قيمة الوظيفة فاشتمل النص الكتابى المسجل على العمائر الإسلامية على وظيفة المبنى والأمثلة على ذلك كثيرة.

ويعد النص الكتابى المسجل على مقياس النيل بجزيرة الروضة عام 247هـ/861م (شكل رقم 8) من أقدم النصوص التأسيسية الباقية بعمائر القاهرة ومما يزيد من قيمة هذه العمارة أن النص الكتابى المذكور يحمل اسم الخليفة العباسى عبد الله جعفر الإمام المتوكل (232 - 247 هـ/ 846 - 861م) وأحمد بن محمد الحاسب ([3]).

شكل رقم (8) : مقياس النيل

شكل رقم (9) : مجمع المنصور قلاون بشارع المعز

شكل رقم (10) : واجهة الجامع الأقمر

ويرتبط بالقيمة التاريخية للبناء معرفة الفترة الزمنية التى استغرق بناء المنشأة فيها وقد ساعدت النقوش الكتابية الإسلامية المسجلة على العمائر الإسلامية فى ذلك كما يتضح من تاريخ إنشاء مجمع السلطان قلاون فيما بين ربيع الآخر 683هـ/ 1284م وجمادى الأولى عام 684هـ/ 1285م(شكل رقم 9).

ولما كانت القيمة ذات ارتباط واضح بالزمن فقد حرص الكثير من مشيدى هذه العمائر على تسجيل تاريخ المنشأة فى أكثر من مكان بالمنشأة الواحدة كما حرصوا على كتابته بالحروف لضمان عدم تزييفه ومما يؤيد ذلك ندرة النماذج التى استخدمت فيها كتابة التاريخ بالأرقام بل ابتكروا طريقة أخرى كانت أكثر ثباتاً فى تسجيل تاريخ المنشأة وهو التاريخ بحساب الجمل ([4]) ومن أقدم التواريخ المسجلة بحساب الجمل على العمائر الإسلامية بالقاهرة النص الكتابى بجامع داود باشا (أثر رقم472) 955هـ/ 1548م ([5]).

---

[1]() : حسين عليوه ، الكتابات الأثرية العربية دراسة فى الشكل والمضمون ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان الثلاثون والواحد والثلاثون 1983 . 1984م ، من ص 203 إلى ص 262، ص 241 ؛ مايسة محمود داود ، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية من القرن الأول حتى أوخر القرن الثانى عشر للهجرة (7- 18م) ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية 1991م ، ص 15.

[2]() حسين عليوه ، المرجع السابق ، ص 236.

[3]() ابن خلكان (ابى العباس شمس الدين أحمد بن أبى بكر بن خلكان 608 . 681هـ/ 1211 . 1283م) ، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، 8 أجزاء ، تحقيق أحسان عباس ، بيروت . لبنان ، دار صادر 1972.1968م ، ج 3 ، ص 113 . ص 114 ؛ حسين عليوه ، الخط ، كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها ، من ص 275 إلى ص 286، مؤسسة الأهرام 1970م ، ص 277؛ محمد حمزة الحداد ، المرجع السابق، ص 113 ؛ هامش 355 ، ص 301 ، ص 302.

[4]() حساب الجمل هو أسلوب يعتمد على تأريخ حادثة معينة أو ما شابه ذلك بالتقويم الهجرى عن طريق بيت من الشعر أو شطر من البيت الشعرى بحيث إذا جمعت القيمة العددية المطابقة لكل حرف من الحروف الواردة بعد كلمة أرخ وفق الترتيب الأبجدى يمكن التوصل إلى السنة الهجرية . حجاجى إبراهيم ، حساب الجمل على أشهر الأثار الإسلامية بمصر ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، المجلة العلمية = = لكلية الآداب ، جامعة المنيا ، المجلد الثانى عشر ، يناير 1994م ، ص 78 ؛ وانظر عن حساب الجمل ، جلال شوقى ، أشكال العدد ومنازله فى الحضارة العربية ، مجلة كلية الآثار ، الكتاب الذهبى ، ج2 ، 1978م من ص 95 إلى ص 116، ص 101 ؛ أحمد فؤاد باشا ، الأرقام هندية أم عربية ، مجلة الأزهر ، الجزء العاشر، السنة 65، شوال 1413هـ / 1993م ، من ص 1566 ، إلى ص 1570 ، ص 1567 ؛ رسائل إخوان الصفا ، ج3 ، الجسمانيات الطبيعيات والنفسانيات والعقليات ، القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، أغسطس 1996م ، ص 143.

[5]() على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ،عشرون جزءاً، بولاق 1888 . 1889م . 5 أجزاء مصورة عن طبعة بولاق 0القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1969 . 1994م ، ج 4 ، ص 230 ؛ سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، 5 أجزاء ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية 1971 . 983م ، ج 5 ، ص 107.

وكثير من العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة ذات قيمة كبيرة لأنها أمدتنا بأسماء الولاة والأمراء ومن أمثلة ذلك الوزير أبو عبد الله محمد بن فاتك وزير الخليفة الآمر بأحكام الله الذى سجل اسمه واسم الآمر بواجهة الجامع الأقمر ([1]) (شكل رقم 10)

كما أمدتنا الكتابات ببعض أسماء الصناع والمعماريين الذين أهملت ذكرهم كثير من المصادر الأدبية ومن أمثلة الصناع الذين سجلوا أسمائهم فى النصوص الكتابية عبد القادر النقاش المرخم الذى سجل اسمه بمدرسة أبى بكر مزهر بحارة برجوان (أثر رقم 49) 884هـ/1479م كما سجل اسمه بمدرسة قجماس الإسحاقى 885 - 886هـ/1480 -1481م بتجويف المحراب طرداً وعكساً " عمل عبد القادر النقاش " ([2]) (شكل رقم 11) كما سجل النجار على بن طنين اسمه على منبر جامع أبو العلا ببولاق ([3]) (شكل رقم 12).

شكل رقم (11) : توقيع المرخم عبد القادر النقاش بمدرسة قجماس الأسحاقى عن حسن عبد الوهاب

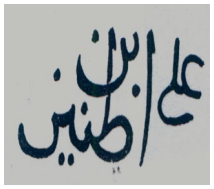

شكل رقم (12) : توقيع النجار على بن طنين على منبر جامع أبو العلا عن حسن عبد الوهاب

شكل رقم (13) : النص التأسيسى لجامع أحمد بن طولون

وأمدتنا الكتابات بأمثلة للمراسيم والمسامحات ([4]) ومن أمثلتها مرسوم بباب النصر بالقاهرة ([5]) ومرسوم آخر بالجامع الأزهر ([6]).

ومما يزيد من قيمة العمائر الإسلامية بالقاهرة أن الكتابات المسجلة عليها تساعد فى معرفة المصطلحات الأثرية الخاصة بالعمارة والفنون ([7]) ومن أمثلتها : القبة والضريح والتربة والمسجد والجامع والمدرسة والخانقاة والبيمارستان والمارستان والوكالة والخان والقيسارية والفندق والربع والبيت والمنزل ([8]) والمنارة والمئذنة .. ألخ وتحديد صفة المنشأة

([9]) سواء كانت مسجداً أو جامعاً أو مدرسة أو خانقاة أو قبة أوسبيلاً أو قصراً ... ألخ ([10]).

([1]) : حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 69.

([2]) حسن عبد الوهاب ، المرجع نفسه ، ص 264.

([3]) : نفسه ، ص 277.

([4]) عن المراسيم والمسامحات راجع : Wiet (G), Decrets Mamlouks d,Egypt, Eretz – Israel , Vol 7, Jerusalem 1964

([5]) Berchem (M.V), Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum Egypte , Paris 1903. p.59

([6]) سعاد ماهر ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 204 ؛ سعاد ماهر ، العمارة الإسلامية على مر العصور ، جزءان ، جدة ، دار البيان العربى، الطبعة الأولى 1405هـ /1985م ، ص 361 ، ص 403 ؛ حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ص 54

([7]) : مايسة محمود داود ، المرجع السابق ، ص 17.

([8]) : مايسة محمود داود ، المرجع نفسه ، ص 18.

([9]) أحمد محمد أحمد ، منشآت الأمير أيتمش البجاسى بباب الوزير دراسة معمارية أثرية ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة 1414هـ/ 1994م ، إشراف حسن الباشا وعبد الرحمن محمود عبد التواب ، ص 139؛ حسن الباشا ، الكتابات الأثرية العربية وصلتها بالآثار والحضارة ، بحث ضمن موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، 5أجزاء ، الطبعة الأولى ، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع 1420هـ/1999م ، ج3 ، من ص 216 إلى ص 221، ص 220.

([10]) محمد حمزة الحداد ، العلاقة بين النص التأسيسى والوظيفة والتخطيط المعمارى فى العصر المملوكى ، أبحاث ندوة تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992م ، من ص 296 إلى ص 386 ، ص 274.

وتتميز العمائر الإسلامية برسوم الرنوك والشارات سواء كانت رنوكاً كتابية أم رنوك وظيفية وهى تدل على أصحابها ومدى علاقتهم بهذه العمارة ومن العمائر التى ظهرت بها الرنوك المصورة قلعة الجبل بالقاهرة وقد ظهر بها رنك النسر ([1]) ورنك الأسد الذى ظهر بقناطر أبى المنجا وقناطر السباع ([2]) أما الرنوك الكتابية فنراها مسجلة على كثير من العمائر الإسلامية ([3]).

ويكفى للتدليل على قيمة النقوش الكتابية أن حروفها لعبت دوراً كبيراً فى زخارف كثير من العمائر المسيحية فى إيطاليا ومن أمثلة ذلك كتابة فوق رأس المسيح المصور فوق أبواب كنيسة القديس بطرس التى أمر بإنشائها البابا أوجين الرابع ([4]) كما استخدم فنانو عصر النهضة الحروف العربية فى الزخرفة ومنهم فى إيطاليا جيوتو دى بندونى (حوالى 1266 - 1334م) ([5]).

وللمحافظة على القيمة ـ التى كان يسعى إليها مشيدو هذه العمائر ـ نجد أن معظم النصوص المسجلة على العمائر الإسلامية سواء كانت على الجص أو الحجر أو الرخام سجلت بالحفر البارز (Bass Relief) ([6]) وهى السمة الغالبة على هذه النصوص التأسيسية ومن هنا نجد أن نماذج النصوص الكتابية المسجلة بالحفر الغائر (Incised Relief) قليلة ويرجع السبب فى ذلك إلى رغبة المنشىء فى المحافظة على قيمة المبنى من التغيير أو التبديل لأن الكتابات المسجلة بالحفر الغائر يسهل محوها بأغلاق تلك الفجوات المحورة دون أن يدرك ذلك من يشاهد تلك النصوص بينما أى تغيير بالمحو أو الطمس فى الكتابات المسجلة بالحفر البارز يظهر ذلك المحو أو التزييف.

ويلاحظ فى استخدام الأحجار كمادة نفذت عليها النصوص الكتابية أنها استخدمت فى النصوص الكتابية ذات المساحة الكبيرة وقد ظهر ذلك فى مداخل العمائر على جانبى المدخل الرئيسى للمنشأة .

وقد وصلتنا نماذج كثيرة من النصوص التأسيسية المسجلة على الأحجار أو الرخام بالحفر البارز ومن أقدمها النص التأسيسى بمقياس النيل بالروضة (شكل رقم 8) والنص التأسيسى المسجل على اللوحة الرخامية بجامع أحمد بن طولون (شكل رقم 13).

ومن حيث الموضع الذى وضعت فيه تلك النصوص فقد وضعت فى أماكن تبدو واضحة لزائر هذه المنشآت لأبراز قيمة المبنى للزائر نفسه ومن ذلك وضع هذه النصوص فى واجهات العمائر أو مداخلها كما هو الحال فى النص الكتابى بمدخل الباب المدرج بالقلعة (شكل رقم 14) كما برزت هذه القيمة بوضوح فى العصر المملوكى ويتضح ذلك فى استغلال الواجهة الرئيسية بأكملها فى كتابة النصوص التسجيلية كما نرى ذلك فى واجهة مجمع قلاون بشارع المعز (شكل رقم 9) وواجهة السلطان برسباى شارع المعز (شكل رقم 15) وغيرها من الأمثلة.

شكل رقم (14) : النص التأسيسى أعلى الباب المدرج بالقلعة

شكل رقم (15) : واجهة مدرسة السلطان برسباى بشارع المعز

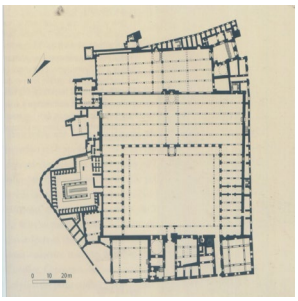

شكل رقم (16) : المسقط الأفقى للجامع الأزهر

([1]) أحمد عبد الرازق ، الرنوك على عصر سلاطين المماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد 21 ، 1974م ، من ص 67 إلى ص 116 ، ص 87.

([2]) Creswell (K.A.C), The works of Sultan Bibars Al-Bunduqdari In Egypt, LeCaire 1926. pp 154 .

([3]) Mayer (L.A) ,Saracenic heraldry,Oxford, 1933 . pp 38 - 39.

([4]) : جوستاف لوبون ، المرجع السابق ، ص 531.

([5]) El-Basha (H), Arabic Letters in the Art of the Reniassance in Italy, vol 3, Awraq Sharqiya, 1999 pp 79- 82, p 80.

([6]) الحفر البارز هو الحفر الذى تكون فيه الأشكال البارزة ملتصقة بالأرضية وبمعنى آخر أن الفنان يهبط بمستوى الأرضية عن مستوى أشكاله المنحوتة . أبو صالح الألفى ، موجز تاريخ الفن العام ، القاهرة ، دار القلم 1965م ، ص 31.

([7]) ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت 930هـ /1524م) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، 5 أجزاء 0تحقيق محمد = = مصطفى ، القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1982 . 1984م ، ج2 ، ص ص 96، 97.

ثانياً : القيمة السياسية والدينية للعمائر الإسلامية

ليس من شك فى أن كثير من العمائر الإسلامية ذات قيمة دينية كبيرة ومن العمائر الإسلامية التى تتصف بهذه الصفة جامع عمرو بن العاص (شكل رقم 3) فقد أورد المقريزى نصاً مهماً يرتبط بهذا الجامع فقال : " وهو [جامع عمرو بن العاص] أول مسجد أسس بديار مصر فى الملة الإسلامية بعد الفتح (خرّج) الحافظ أبو القاسم بن عساكر من حديث معاوية بن قرة قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من صلى صلاة مكتوبة فى مسجد مصر من الأمصار كانت له كحجة متقبلة فإن صلى تطوعاً كانت له كعمرة مبرورة وعن كعب من صلى فى مسجد مصر من الأمصار صلاة فريضة عدلت حجة متقبلة ومن صلى صلاة تطوع عدلت عمرة متقبلة فإن أصيب فى وجهه ذلك حرم لحمه ودمه على النار أن تطعمه وذنبه على من قتله " ([1]).

ومما لا شك فيه أن القدماء من حكام للمسلمين أدركوا مثل هذه القيمة الدينية ومن ثم اهتموا بهذا الجامع اهتماماً كبيراً كما يستشف مما سرده المقريزى عن هذا الجامع طوال تاريخه.

وارتبط الأزهر فى بداية نشأته بالمذهب الشيعى فبدأ الأزهر يلعب دوراً مميزاً كمدرسة ومن هنا نشأ نظام التدريس بمفهومه المنظم ويعتبر الوزير يعقوب بن كلس أول من فعل ذلك عام 378هـ/988م ([2]).

كما ارتبطت كثير من العمائر الإسلامية بالقاهرة بأحداث مهمة خلدها التاريخ ولها أثر واضح فى المجتمع سواء على المستوى المحلى العمرانى المحيط بها أو على المستوى القومى وتزداد قيمة هذه المبانى بزيادة أهمية الحدث الذى ارتبطت به ([3]).

وهناك العديد من الأمثلة التى تحملها العمائر الإسلامية وتشير إلى القيمة السياسية المرتبطة بحدث معين ومن ذلك أن جامع عمرو بن العاص بالفسطاط (شكل رقم 3) هو أحد المعالم الباقية من الفتح الإسلامى فلا توجد أية دلائل على هذا الفتح سوى ما سطره المؤرخون فى كتبهم وبعض ما كتبوه يعود إلى فترات تالية على الفتح الإسلامى ومن ثم أصبح هذا الجامع يحمل مؤشراً ذو قيمة دينية وسياسية كبيرة لأنه يعبر عن فترة زمنية كان لها تأثير كبير على مصر بزوال حكم الرومان وبداية الحكم الإسلامى فى مصر ، ومن ناحية العمارة فهذا الجامع يعتبر من أقدم الجوامع فى مصر بل فى إفريقيا كلها.

أما الجامع الأزهر (شكل رقم 4) فهو علامة بارزة من حيث القيمة السياسية والدينية أيضاً ففى هذا الجامع أمر جوهر الصقلى بقطع الخطبة لبنى العباس وحرم لبس السواد شعار العباسيين وأمر بلبس البياض فانقطعت بذلك دعوة بنى العباس من مصر والحجاز واليمن والشام ([4]).

أما فى عصر سلاطين المماليك فقد لعب الأزهر دوراً لا يستهان به فى توجيه السياسة المصرية فقد كان السلاطين يلجأون إليه تثبيتاً لسلطانهم أو تأييداً لهم على أعدائهم .

وفى الأزهر برزت قيمة مقاومة المستعمر فى العصر الحديث وظهر ذلك منذ الحملة الفرنسية على مصر فقد تزعم رجال الأزهر الحركة الوطنية التى أدت فى النهاية إلى طرد هذه الحملة من مصر.

كما كان رجال الأزهر من أكثر رجال الدين الذين وقفوا ضد قرارات الحكام الجائرة ومن ذلك أنه عندما تضرر أصحاب ونظار الأوقاف من حصر محمد على باشا للأوقاف حضر الكثيرون منهم إلى الجامع الأزهر يستغيثون بالعلماء

فذهب العلماء إلى محمد على بالقلعة وذكروا له ما ترتب على ما فعله من خراب المساجد ([5]) واستمرت قيمة الدور الذى لعبه الأزهر عبر العصور حتى القرن العشرين الميلادى ومن ذلك أنه فى 8 يناير عام 1907م كان عيد جلوس عباس حلمى الثانى فى حكم مصر فأقيم احتفال بالجامع الأزهر بهذه المناسبة ([6]) كما أن نظرة واحدة على المسقط الأفقى للجامع الأزهر (شكل رقم 16) توضح لنا مدى اهتمام الولاة والحكام بهذا الجامع فأصبح الجامع الرئيسى كنواة محاطة بغلاف من المنشآت التى تعود إلى العصر المملوكى البحرى والجركسى والعصر العثمانى حتى القرن العشرين الميلادى.

---

[1]() : المقريزى ، المصدر السابق ، ج 2، ص 246.

[2]() : المقريزى ، المصدر نفسه ، ج 2، ص 273.

[3]() : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 16.

[4]() : المقريزى ، المصدر السابق ، ج 2، ص ص 274 . 275.

[5]() : الجبرتى (عبد الرحمن) ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، 3 أجزاء ، بيروت . لبنان ، دار الجيل ، د.ت ، ج 34 ، ص 265 ؛ مصطفى رمضان ، دور الأزهر فى الحياة المصرية أبان الحملة الفرنسية ومطلع القرن التاسع عشر ، القاهرة 1986م ، ص 451.

[6]() : أحمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، ج2 ، عباس حلمى الثانى ، القسم الثانى من يناير سنة 1903 إلى سنة 1914م ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصر 1355هـ/1936م ، ص 106.

ومن المبانى المعمارية التى تمثل قيمة سياسية كبيرة أسوار وأبواب القاهرة وترجع قيمتها فى وقتها إلى أنها ارتبطت بالخصوصية فى بداية أمرها فقد كانت القاهرة خاصة بالمعز وحاشيته ومن معه : " وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية " (1).

أما الباب المحروق فيمثل قيمة سياسية كبيرة لأرتباطه بحدث تاريخى مهم ففى عام 652هـ/ 1254 - 1255م أراد بيبرس البندقدارى وقلاوون وبعض مماليك الفارس أقطاى الخروج من القاهرة ليلاً فوجدا باب القراطين مغلقاً فأضرموا فيه النار فعرف منذ ذلك الوقت باسم الباب المحروق (2).

كما يمثل باب زويلة قيمة بارز للتحول السياسى بزوال العصر المملوكى وسيطرة الأتراك على مصر فقد ارتبط هذا الباب بشنق طومان باى على عام 923هـ/ 1517م (شكل رقم 17).

وتزداد القيمة السياسية والدينية فى كثير من القباب التى تضم رفات أشخاص كان لهم دور كبير فى تاريخ مصر الثقافى أو الدينى أو السياسى ومن ذلك القيمة الدينية للقباب الضريحية الخاصة بآل البيت كما هو الحال فى قبة عاتكة والجعفرى وقبة السيدة رقية وضريح السيد نفيسة وغيرها من المشاهد الفاطمية وقبة الإمام الشافعى المرتبطة بأهل السنة أو تلك المنشآت التى دفن فيها سلاطين المماليك كقبة المنصور قلاون (شكل رقم 9) التى دفن فيها المنصور قلاون وابنه الناصر محمد بن قلاون والملك الصالح عماد الدين إسماعيل (3) وخانقاة السلطان فرج بن برقوق(شكل رقم 18) وجامع محمد على بالقلعة (شكل رقم 19) الذى يضم رفات مؤسس نهضة مصر الحديثة محمد على باشا وجامع الرفاعى (شكل رقم 20) الذى يضم الكثير من مقابر حكام مصر من الأسرة العلوية.

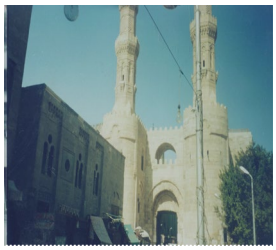

شكل رقم (17) : باب زويلة منظر عام

شكل رقم (18) : خانقاه فرج بن برقوق بالقرافة

شكل رقم (19) : جامع محمد على بالقلعة

ومن عصر الأسرة المالكة يعبر سبيل أحمد باشا رفعت بالحسين عن قيمة كبيرة من الناحية السياسية فقد أنشأته والدته عام (1864م) صدقة على روحه (4).

وتزداد القيمة السياسية فى كثير من العمائر التى كانت مقراً للحكم وتمثل القلعة قيمة سياسية ذات أهمية كبيرة فهى فى ال منذ العصر الأيوبى (5) حتى تشييد قص

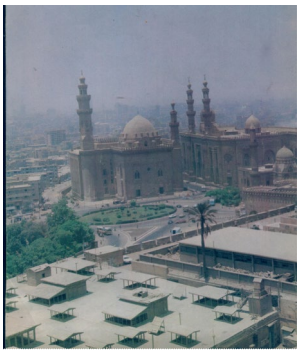

شكل رقم (20) : مدرسة السلطان حسن وجامع الرفاعى

شكل رقم (21) : قصر عابدين عن محمود الجوهرى

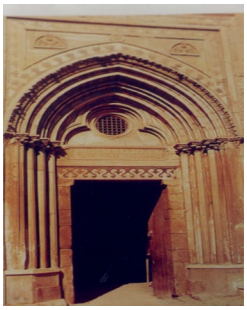

شكل رقم (22) : مدخل مدرسة السلطان الناصر محمد بشارع المعز

(1) : المقريزى ، المصدر نفسه ، ج 1، ص 383.

(2) : نفسه ، ج 2، ص 380.

(3) : عندما تولى سعيد باشا ابن محمد على حكم مصر كانت ولاية العهد من بعده لأحمد باشا رفعت بن إبراهيم باشا ابن محمد على ولكن مصرعه المفاجىء عام 1858م فى حادث قطار كفر الزيات أدى إلى انتقال ولاية العهد إلى أخيه إسماعيل الذى تولى الحكم فى 18 يناير 1863م بعد وفاة سعيد باشا . عبد الحمن االرافعى ، عصر إسماعيل ، ج1 ، مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع 2000م ، ص 76.

(4) : كان مقر الحكم قبل عهد الملك الكامل بدار الوزارة الفاطمية التى حلت محلها الآن خانقاة بيبرس الجاشنكير إلى أن قام العادل بنقل مقر الحكم إلى القلعة عام 604هـ/ 1207 . 1208م . المقريزى ، المصدر السابق ، ج 2، ص 204.

وقد شهدت قلعة الجبل العديد من الأحداث السياسية فمع أنها كانت مقراً للحكم فهى أيضاً كانت مقراً لسجن كثير من الأمراء فى العصر المملوكى وتوسيطهم ([1]) وفى القلعة كان تأسيس أول مدرسة حديثة عام 1231هـ/1815م ([2]).

وقد انتقل الحكم بعد ذلك إلى قصر عابدين (شكل رقم 21) وأصبح هذا القصر اليوم علامة من علامات الحكم المصرى فى عهد الخديوى إسماعيل وقد شهد الكثير من الأحداث ذات القيمة السياسية ومن ذلك حادث عرابى الشهير.

ثالثاً : القيمة الرمزية (symbolical value) للعمارة الإسلامية

تحمل العمارة الإسلامية فى طياتها معانى رمزية (Meaning)

ومن أمثلة ذلك استخدام المقياس الضخم للإيحاء بالعظمة وتتابع الفراغات من الأكبر إلى الأصغر وهو يوحى بالخصوصية ([3]) ونرى ذلك فى العمارة الإسلامية حيث ترمز أبواب القاهرة الفاطمية الباقية (شكل رقم 13) وكذلك قلعة صلاح الدين إلى القوة والمنعة كما أنها تشير إلى مدى التطور فى الوسائل الدفاعية.

وتمثل مدرسة الناصر محمد بن قلاون بشارع المعز قيمة رمزية مهمة ومن ذلك أن مدخلها الرخامى (شكل رقم 22) يدلل على انتصار المسلمين على آخر معاقل الصليبيين فى بلاد الشام ([4]).

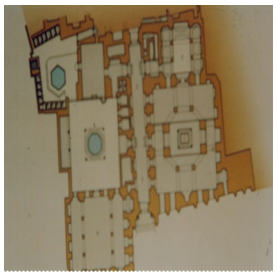

شكل رقم (23) : مسقط أفقى لمجمع قلاون بشارع المعز

وترمز القبة إلى غطاء السماء وما بعده من عالم روحانى لا نهائى ومنها يصبح الشكل الكروى أو الدائرى هو الرمز الهندسى الأمثل ([5]).

ويرمز التخطيط المثمن إلى العرش الألهى الذى تحمله ثمانية من الملائكة قال تعالى : { وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } ([6]) كما يظهر ذلك فى تخطيط قبة المنصور قلاون بشارع المعز (شكل رقم 23).

أما القصور فهى ترمز إلى مدى الرفاهية والثراء.

رابعاً : القيمة الأقتصادية كمورد (Economic Value)

مما لا شك فيه أن العمائر الإسلامية تمثل قيمة اقتصادية كبيرة فى الوقت الحالى ويكفى القول هنا أن العمائر الإسلامية تمثل مصدراً مهماً من مصادر الدخل السياحى.

خامساً : القيمة العملية (الوظيفية) (Functional Value)

تتميز العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة بقيمة وظيفية مهمة وتتضح فى استمرار بعض العمائر الدينية كالجوامع والمساجد فى القيام بوظيفتها التى شيدت من أجلها على عكس ما قد نراه فى المنشآت الفرعونية ذات الطابع الأثرى فقط

---

[1]() : ابن تغرى بردى : حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور،3 أجزاء ، تحقيق كمال الدين عز الدين ، الطبعة الأولى ، عالم الكتاب 1410هـ/1990م.، ج1 ، ص 228. ومن أقدم المسجونين بالقلعة أولاد الخليفة الفاطمى العاضد الذين سجنوا بالقلعة منذ عهد العادل الأيوبى عام 604هـ/ 1207 . 1208م حتى عام 671هـ / 1272 . 1273م . المقريزى ، المصدر نفسه ، ج 2، ص 204.

[2]() : أمين سامى باشا ، تقويم النيل ، 3 أجزاء ، 6 مجلدات ، القاهرة ، دار الكتب 1936م ، ج2 ، المجلد الثانى ، ص 257.

[3]() : أحمد خلف عطية ، المرجع السابق، ص 130 ؛ نجوى شريف ، المعانى فى العمارة وتأثيرها على التصميم المعمارى والعمرانى ، المؤتمر العلمى الدولى الرابع ، كلية الهندسة ، جامعة الأزهر 1995م ، ص ص 457 . 466.

[4]() : عندما انتصر الأشرف خليل على آخر معاقل الصليبيين فى عكا عام 690هـ/ 1291م نقل المدخل الرخامى الذى يوجد الآن بالواجهة الرئيسية بمدرسة الناصر محمد بن قلاون إلى القاهرة إلى أن قتل الملك الأشرف خليل وتولى كتبغا فنقله إلى مكانه الحالى ولما أخذ السلطان الناصر محمد بن قلاون هذه المدرسة أبقى هذا المدخل فى مكانه . المقريزى ، المصدر السابق، ج 2، ص 381.

[5]() : كريم الغزالى كسيبة ، فقه العمارة مفهوم العمارة الإسلامية بين النظرية والتطبيق ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 2002م ، ص 48.

[6]() : سورة الحاقة ، الآية رقم 17 كريم الغزالى كسيبة ، المرجع السابق ، ص 47. وجدير بالذكر أن العدد ثمانية له دور كبير كما ورد = = فى القرآن : { ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } سورة الأنعام ، الآية رقم 143 ؛ { خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنْ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ } سورة الزمر ، الآية رقم 6 ، { سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ }. سورة الحاقة ، الآية رقم 7.

([1]) وهناك علاقة بارزة بين الوظيفة والتكرار فى العمائر الإسلامية فالأعمدة الحاملة لما فوقها من أعتاب وعقود وأقبية تمثل قيمة وظيفية بحتة تتطلبها ظروف الإنشاء ([2]).

ومن الجدير بالذكر أن العمائر الإسلامية كان الغرض الأول من تشييدها هو أن تؤدى وظيفة معينة ألا وهى أداء الصلاة وهذا يرتبط بالجوامع والمساجد كما كان التدريس يتم فى المدارس أو الجوامع أما التصوف فكان فى الخانقاوات ومن الملاحظ أن المنشآت الدينية كانت ذات طبيعة مرنة فقد قامت المنشأة الدينية الواحدة بأكثر من وظيفة كالصلاة والتدريس والتصوف بل قامت بعض القباب الضريحية بدور المدرسة كما هو الحال فى قبة المنصور قلاون ([3]) (شكل رقم 9) كما كان يستطلع هلال شهر رمضان فى هذه القبة ([4]).

ومن أمثلة المرونة الوظيفية فى المنشآت الدينية ما قام به جامع عمرو بن العاص (شكل رقم 3) من وظائف متعددة إذ لم يقتصر عمله على أداء الفرائض الدينية فحسب بل كان به زوايا للتدريس ومنها زاوية الإمام الشافعى رضى الله عنه ([5]) كما كان مكاناً لجلوس القضاة فقد كانت فيه محكمة لفض المنازعات الدينية والمدنية وكانت تعقد الجلسات فى زيادة الجامع الغربية ([6]) كما كان بجامع عمرو بيت للمال ([7]).

أما المنشآت المدنية ـ باستثناء نماذج قليلة ـ فلم تتوفر لها صفة المرونة السابق الإشارة إليها فقامت بوظيفة محددة لم تحيد عنها ومن ذلك أن الأسبلة قامت بوظيفة تقديم مياه الشرب للمارة كما قامت الكتاتيب بدورها فى تعليم أيتام المسلمين واستخدمت الحمامات فى وظيفتها التى شيدت من أجلها ولم تغيرها وكذلك الوكالات والفنادق والقياسر وغير ذلك من المنشآت المعمارية.

وقد أرجع البعض السبب فى تعدد الوظائف فى المنشآت الدينية المملوكية إلى ملائمة المبنى للقيام بهذه الوظيفة وارتبط الأمر هنا بشرط الواقف وأوقافه التى يخصصها لأرباب الوظائف بالمنشآت التى يبنيها ([8]).

ولكن لا يمكن تعميم هذه الفكرة لأن ملائمة المبنى للوظيفة ليس هو السبب الوحيد فى تعدد الوظائف بل هناك عوامل أخرى ارتبطت بظروف معينة ومن ذلك تلك الفتوى التى صدرت فى عهد السلطان الظاهر بيبرس بجواز إقامة خطبة الجمعة فى أكثر من مكان واحد وهذه الفتوى يسرت الكثير من المفاهيم الأخرى فإذا كانت المنشأة هنا تقوم بوظيفة التدريس والصلاة فإنه يجوز أن تقوم القبة الضريحية بمثل هذا الدور ومن ثم أصبحت الخنقاوات ـ على سبيل المثال ـ مهيأة للقيام بوظيفة الجامع والتدريس كما تحولت بعض المنشآت إلى وظائف أخرى بعد وفاة المنشىء كما هو الحال فى قبة قلاون بل وتحويل بعض القاعات السكنية إلى مساجد.

وفى الوقت الحالى نرى أن بعض العمائر الإسلامية انعدمت قيمتها الوظيفية تماماً مثل الأسوار وأبواب المدن والقلاع أما الكتاتيب والأسبلة والتكايا والخنقاوات فقد اختفت منها وظيفتها بالتدريج مما أفقدها أهميتها الوظيفية فأصبحت إما غير مستخدمة أو مستخدمة فى أغراض غير أغراضها التى شيدت من أجلها ([9]).

ويؤكد ميثاق البندقية (Venice Chater) الصادر عن المؤتمر الدولى الثانى لمهندسى وفنيى المبانى التاريخية الذى عقد فى مدينة فينسيا عام 1964م فى المادة الخامسة منه على ضرورة توظيف المبانى التاريخية فى الأستعمالات المناسبة ([10]) وعدم استخدام المبانى الأثرية أستخداماً يتعارض مع حقيقتها التاريخية ([11]).

أننا نؤكد هنا على ضرورة إعادة الدور الوظيفى والحضارى للعمائر الإسلامية كما كانت فى عصر الإنشاء.

سادساً : القيمة المعمارية والفنية (artistic and historical values) فى العمارة الإسلامية

([1]) : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 4.

([2]) : مصطفى عبد الرحيم محمد ، ظاهرة التكرار فى الفنون الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997م ، ص 70.

([3]) : كان يدرس بهذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب الأربعة وقد عرفت بدروس وقف الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاون وهى الدروس التى أوقفها الأمير أرغون زوج أم الصالح . المقريزى ، المصدر السابق ، ج 2، ص 380.

([4]) : الصيرفى ، المصدر السابق ، ص 406.

([5]) : المقريزى ، المصدر السابق ، ج 2، ص 255.

([6]) : حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ج2، ص 29.

([7]) : المقريزى ، المصدر السابق ، ج 2، ص 249

([8]) : محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط 1979م ، ص 174.

([9]) : خالد عبد العزيز عثمان ، التنمية المستحدثة فى النطاقات ذات القيمة ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 1999م ، ص ص 12 . 13.

([10]) : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص ص 27. 32 ؛ أحمد خلف عطية ، المرجع السابق، ص 52.

([11]) : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 20.

لقد تميزت العمائر الإسلامية بقيمة لها أهمية كبيرة فى مجال التخطيط المعمارى ومن ذلك أن التصميم المعمارى لا يعتمد على الشكل والزخارف فقط ولكن توفر العمائر الإسلامية وظيفة أخرى ـ بالإضافة إلى ما سبق ـ وهى وظيفة تحقيق احتياجات المستخدمين فنجد الخلاوى فى الخانقاوات لأقامة الصوفية والمآذن لأعلان الصلاة والمنبر للخطبة وحنية المحراب لتحديد القبلة.

وتتميز العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة بعدة مميزات من حيث التكوين العام والعناصر المعمارية وتشمل ما يلى :

قيمة التفرد

تمثل بعض العمائر الإسلامية قيمة من حيث التفرد والندرة ومن أمثلة ذلك مقياس النيل بجزيرة الروضة (شكل رقم 8) وواجهة الجامع الأقمر (شكل رقم 10) ذات الزخارف الحجرية النادرة وهى أقدم واجهة حجرية باقية بالعمائر الإسلامية بمدينة القاهرة ([1]).

قيمة التنوع والوحدة

تتسم العمارة الإسلامية بصفة عامة بقيمة التنوع والوحدة ومن هنا يمكننا أن نشبه العمائر الإسلامية بقصيدة من الشعر تسير وفق نظام القوافى ولكن على الرغم من توالى الأبيات وقوافيها بموازينها الدقيقة إلا أن ذلك لا يعنى أن كل بيت من بيوت القصيدة تكرار لما سبقه فى عدد الحروف والكلمات والمعانى مع ثبات تلك البحور والقوافى لأن لكل بيت من بيوت القصيدة معنى يراد توصيله قد يختلف عما قبله أو بعده أو يتصل به ([2]) ومن هنا عرفت العمارة الإسلامية أنواعاً عديدة من المنشآت وكلها تتقارب فى تخطيطها ولكنها تحمل معانى وقيم مختلفة.

وعند دراسة التخطيطات المختلفة للعمائر الإسلامية كالجوامع والمساجد والمدارس ... ألخ نجد أن تخطيطها يتسم بصفة التنوع فقد عرفت العمارة الإسلامية التخطيط المكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به أربعة أروقة كما هو الحال فى جامع أحمد بن طولون (شكل رقم 24) والجامع الأزهر (شكل رقم 16) والتخطيط المكون من صحن أوسط مكشوف أو دورقاعة وأربعة إيوانات ويشاهد ذلك فى مدرسة السلطان حسن بالقاهرة (شكل رقم 25) والتخطيط المكون من بيت الصلاة والحرم ونرى ذلك فى جامع محمد على بالقلعة (شكل رقم 26).

كما تبدو سمة الوحدة فى أشكال المآذن والقباب ([3]) والعقود وقد عرف منها أنواع كثيرة كالعقد النصف دائرى والعقد المدبب والعقد المنكسر والعقد حدوة الفرس ... ألخ وكل هذه العناصر المعمارية تميز العمارة الإسلامية فى العالم الإسلامى عن مثيلاتها من العمائر التى تعود إلى فترات سابقة على ذلك العصر.

قيمة الإيقاع والحركة

الإيقاع ظاهرة تمثل تدفق الحياة فى أجمل صورها فالشهيق والزفير ونبض [illegible] الحياة أما السكون فيرمز للموت ، والحياة ما هى إلا إيقاعات مرتبطة بعضها ببعض أما الموت فيعنى فناء الأساسية فى الحركة فله سمة زمنية لأن الإيقاع لا ومن خلاله.

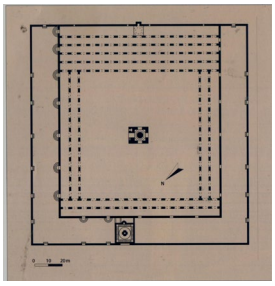

شكل رقم (24) : مسقط أفقى لجامع أحمد ابن طولون

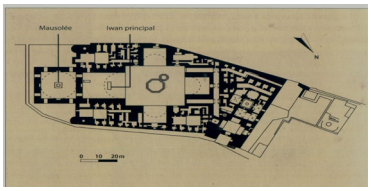

شكل رقم (25) : مسقط أفقى لمدرسة السلطان حسن

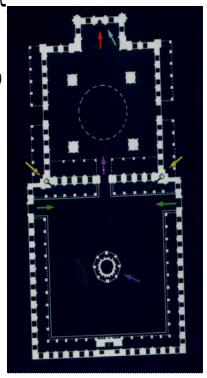

شكل رقم (26) : مسقط أفقى لجامع محمد على بالقلعة

وقد استخدم الأيقاع فى الفن الإسلامى ومن أمثلة ذلك شكل العقود فى الجوامع الإسلامية وهى تتشكل من سلسلة من الأقواس االمتوالية بحيث تعطى مثل هذه العقود والمسافات الواقعة بين أقواسها إنطباعاً لمن يشاهدها بسرعة وتزايد حركتها المتعاقبة.

قيمة التوجه الرباعى

([1]) : حسن عبد الوهاب ، المرجع السابق ، ج2، ص 71.

([2]) : مصطفى عبد الرحيم محمد ، المرجع السابق ، ص 53.

([3]) : عن القباب راجع : صالح لمعى ، التراث المعمارى الإسلامى فى مصر ، القاهرة . د.ت ، ص 29.

([4]) : مصطفى عبد الرحيم محمد ، المرجع السابق ، ص 32.

إن كثيراً من أطوار الحياة تمر بأربعة مراحل ففصول السنة أربعة (الربيع ـ الصيف ـ الخريف ـ الشتاء) والاتجاهات الأصلية أربعة هى : (الشرق ـ الغرب ـ الشمال ـ الجنوب) ومراحل العمر أربعة هى : (الطفولة ـ الشباب ـ الرجولة ـ الشيخوخة) ([1]) والكعبة المشرفة سميت بذلك لأنها مربعة.

ومربع الكعبة نراه فى صحون المبانى وهو ليس مجرد مربع ولكن له دلالة الثبات والكمال ويعكس صورة المربع فى الجنة الذى تمثلها الكعبة على الأرض ([2]).

والبناء المربع أو المكعب أو الدائرى هو أبسط خطوط الأشكال تجريداً تماماً كما فى اللون أيضاً فالأبيض والأسود فى حيادهما هما اللذان يحتويان ويلخصان كل الألوان فى أقصى درجات بساطتها وتجريدها فالتجريد هنا يشمل اللون والشكل ([3]).

ولم تكن العمارة الإسلامية بمنأى عن هذه الفكرة كما نراها فى تخطيط العمائر ذات الواجهات الأربعة والأروقة الأربعة والإيوانات الأربعة والمدارس الفرعية الأربعة والأبواب الأربعة التى تفتح على الصحن.

وظاهرة التوجه الرباعى نراها بصورة جلية فى عمائر العصر المملوكى وخير مثال على ذلك مدرسة السلطان حسن بالقلعة (شكل رقم 20) بواجهاتها الأربع وإيواناتها الأربعة ومدارسها الفرعية الأربعة.

ومع هذا التوجه الرباعى إلا أننا نرى أن مبانى الضلع البحرى أعلى من بقية الواجهات المطلة على الصحن الداخلى وبذلك تكون بمثابة موجهة للهواء وتوزيعه ([4]).

وغالباً ما يكون التوجه الرباعى حول الصحن أو الفناء ضابط الإيقاع ومن هنا نرى أن فتحات العمارة الإسلامية فى الأضلاع الأربعة بصفة عامة موجهة إلى الداخل حول فناء داخلى مكشوف (الصحن) وهو عكس ما نراه الآن فى العمارة الحديثة من توجيه فتحات المساكن إلى الخارج.

وتعتبر الطبيعة من أهم العوامل التى أوجدت الفناء (الصحن) كعنصر أساسى فى العمارة الإسلامية ذلك أن العرب نشأوا فى ظل بيئة صحراوية ومن ثم تطلعوا للفناء الداخلى ووضعوا بوسطه نافورات المياه بل وزرعوا الفناء ([5]).

ومن الناحية الاجتماعية نجد أن الفناء فى العمارة المدنية كان موضعاً للنشاط العائلى مما يوفر شيئاً من الخصوصية لهذه العمائر.

والفناء الداخلى له وظيفة مهمة فى مجال العمارة فعادة ما يكون متوسط درجات الحرارة اليومية العظمى والصغرى كبير للغاية قد يصل إلى 21 درجة مئوية ومن ثم فإن الأرض والحوائط ومعظم عناصر البناء عادة ما تتلقى كمية كبيرة من أشعة الشمس بالنهار وتفقدها ليلاً ومن ثم تشع جميع الأسطح المحيطة بالفناء ثانياً فى الفراغ تلك الكمية الحرارية التى امتصتها نهاراً وبالتالى يساعد الفناء هنا على تبريد الجو المحيط به ولما كان الهواء البارد عادة ما يتميز بكثافته العالية ـ بعكس الهواء الساخن ـ فإنه يهبط إلى أسفل فى الفناء الذى يصبح بمثابة وحدة تخزين له وفى الوقت نفسه يساعد على طرد الهواء الساخن إلى أعلى أى إلى خارج الفناء وفى الصباح يكون الفناء محمياً من أشعة الشمس ومن ثم يمكن الأحتفاظ بالهواء البارد الذى جمع أثناء الليل لفترة طويلة بالنهار ([6]).

وقد ثبت من الدراسات أن توفر الظل فى الفناء (الصحن) لفترة زمنية كبيرة يساعد على تقليل درجة حرارة المكان كما وجد أن هناك علاقة عكسية بين ارتفاع جدران الصحن ومساحته فكلما زاد ارتفاع الصحن وقلت مساحته زادت كمية الظلال بالصحن ([7]) ونجد ذلك فى كثير من العمائر الدينية والمدنية فى العصر المملوكى.

ولو طبقنا ما ذكر سابقاً على صحن مدرسة السلطان حسن نجد أن طوله (34.60) مترا وعرضه (32.5) أى أنه مربع الشكل أما ارتفاع جداران فهو 35م أى أن الأرتفاع يزيد على العرض بمقدار متران ونصف وهذا يكفى لتوفير الظل لفترة كبيرة داخل المنشأة (شكل رقم 20) .

قيمة المشربيات

---

[1]() : حسام عزمى ، وكالة الغورى كحالة تاريخية للحفاظ على التراث المعمارى المصرى ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الهندسة جامعة القاهرة 1995م ، ص 191.

[2]() : كريم الغزالى كسيبة ، المرجع السابق ، ص 46.

[3]() : مصطفى عبد الرحيم محمد ، المرجع السابق، ص 52.

[4]() : أحمد جمال الدين محمد أحمد ، أثر البيئة على العمارة فى مصر مع دراسة تحليلية لعمارة قرى الصعيد ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة حلوان ، كلية الفنون الجميلة ، قسم العمارة ، 1975م ، إشراف أحمد عبده محمد ، ص 76.

[5]() : حسام عزمى ، المرجع السابق ، ص 127.

[6]() : حسام عزمى ، المرجع نفسه ، ص 134.

[7]() : نفسه ، ص 140.

لقد استفاد المعمار وظيفياً من البيئة فأدرك ما للشمس من تأثير على العمارة وقد برز ذلك فى التقليل من الفتحات الخارجية وصغر حجم الفتحات الخارجية ومعالجة الفتحات بخشب الخرط أو ما يعرف بالمشربيات (1) والأستفادة من الضوء كعنصر معمارى وتشكيلى واستخدام المزاول الشمسية (2).

والمشربيات (شكل رقم 27) عبارة عن ستائر خشبية مكونة من قطع صغيرة من الخشب تجمع لتؤلف شبكات وحواجز مفرغة تزينها زخارف جميلة فى واجهات المنازل وقد استخدمت المشربيات لتحقق بعض الأهداف الإجتماعية ومنها حجب النساء فالمشربيات تمكن النساء من رؤية من بالطريق وتحول دون أن يراهن من بالخارج (3).

وكان لصغر الفتحات الخارجية فى المنازل بالإضافة إلى الأحجبة الخشبية دور كبير فى تقليل شدة الضوء المتسلل داخل المنشآت لا سيما وأن درجة الإضاءة قوية فى مصر لسطوع الشمس الدائم وكانت الفتحات الكبيرة تطل على الحوش الداخلى لما به من ظلال وتوزيع إضاءة والمناطق التى تسطع فيها الشمس وضع المعمار بها نوافذ شفافة ومعتمة تماماً كخشب الخرط وذلك لأمكانية الراحة والتحكم فى الضوء أما المناطق التى لا تسطع عليها الشمس فقد اكتفى المعمار بعمل نوافذ شفافة ونصف شفافة (4) وبصفة عامة فإن مستوى الإضاءة الذى تحصل عليه المنشآت المعمارية عن طريق المشربية ضعيف بسبب كمية الضوء المسموح بدخولها خلال أجزاء المشربية .

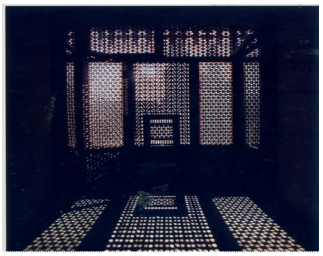

شكل رقم (27) : مشربية خشبية

وتلعب المشربيات دوراً كبيراً فى مجال القيمة المعمارية للعمارة الإسلامية وقد اتضح من دراسة بعض المشربيات بالعمائر الإسلامية أنه كلما كانت المشربية فى مستوى النظر كلما كانت فتحاتها ضيقة وتتسع فتحاتها فى حالة ارتفاعها عن مستوى النظر (5) كما وجد أنه كلما صغرت الوحدات المكونه للمشربيه كلما زادت سرعة الهواء المار خلالها كما أن المشربيات تسمح بدخول الهواء دون الحرارة لأن الخشب لا يسخن كثيراً بالتعرض للشمس وهذه المميزات لا توجد فى النوافذ الزجاجية (6).

ويرى البعض أنه عند تقييم أداء أى شباك فإن هناك بعض الأعتبارات المهمة التى يجب أن تؤخذ فى الأعتبار وهى : الرؤية والتهوية والخصوصية والعزل الصوتى والعزل الحرارى وقد وجد أن مهندس العمائر الإسلامية قد اهتم بهذه الأعتبارات.

فالجزء السفلى من المشربية حتى مستوى النظر كان غالباً ما يصنع من أجزاء صغيرة من الخشب الخرط مع ترك مسافات صغيرة بينها مما يتيح النظر إلى الخارج لرؤية ما يحدث فى الفناء أو الشارع دون السماح برؤية من خلف المشربية والأحرف المستديرة لأجزاء المشربية تساعد على تشتيت الضوء للتغلب على ظاهرة السطوع وشدة الإضاءة أما الأجزاء العلوية من المشربية فتزداد فيها المسافات بين القطع الخشبية مما يتيح المرور لكمية أكبر من الضوء إلى الداخل وذلك للتغلب على ظاهرة ضعف الإضاءة (7).

وعادة ما تبرز المشربية عن سمت الجدار لتساعد فى اتساع الرؤية ولتعمل كعنصر ظلال لحائط الواجهة (8).

وهذه القيم المشار إليها سابقاً لم يدركها معماريو الغرب فاقتبسوا أشكالها دون معرفة جوهرها فجاءت وظيفتها على عكس ما كان بالشرق فزادت حدة الضوء فى كثير من الحالات (9).

---

[1]() : المشربية : ربما كان هذا الاسم تحريف لكلمة مشربة بمعنى غرفة عالية أو لعلها تحريف لكلمة مشربة بمعنى المكان الذى يشرب منه لأن المشربيات التى كانت توجد فى واجهات المنازل كان الهدف منها تلطيف وإدخال النسيم العليل وتمكين أهل الدار من رؤية من بالخارج بدون أن يراهم من بخارج الدار وكان يصنع بهذه المشربيات خرجات صغيرة مستديرة أو مثمنة تركب بخارج المشربية وتوضع عليها القلل لتبريدها ، وتعرف المشربية فى التركية باسم المشبك (Muchabbek) وأقدم أمثلة المشربيات كما ذكر هرتس بك يعود إلى ق 7هـ/13م بمسجد الإمام الشافعى . زكى محمد حسن ، فنون الإسلام ، القاهرة 1948م ، ص 470 ، محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974م، ص 166 ؛ حسام عزمى ، المرجع السابق، ص 149.

[2]() : أحمد جمال الدين محمد أحمد ، المرجع السابق ، ص 65.

[3] () محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص 166 .

[4]() : أحمد جمال الدين محمد أحمد ، المرجع السابق ، ص 66.

[5]() : حسام عزمى ، المرجع السابق ، ص 146.

[6]() : أحمد جمال الدين محمد أحمد ، المرجع السابق ، ص 69.

[7]() : حسام عزمى ، المرجع السابق ، ص 155.

[8]() : حسام عزمى ، المرجع نفسه ، ص 158.

[9]() : مصطفى عبد الرحيم محمد ، المرجع السابق، ص 73.

الملاقف والمياه والحدائق

كان وضع الأوانى الفخارية المملوءة بالماء إلى جانب مدخل الممرات الهوائية أحد العوامل المساعدة فى الوقت نفسه على تبريد الهواء والمياه وهذه الطريقة عرفت فى مصر منذ العصر الفرعونى (1).

وكانت ملاقف الهواء تزود بالخيش المبلل والنباتات لترطيب الهواء عند مروره عليها عند الدخول للحجرات الداخلية.

كما لعب الماء دوراً مهماً فى التشكيل المعمارى حيث أن تبخر الماء يقلل من درجة الحرارة المحيطة مع زيادة نسبة الرطوبة للجو وظهر ذلك فى النافورات التى وجدت فى القاعات مثل بيوت الفسطاط (2) وقصر بشتاك.

وجعل المعمار حديقة السطح لخلق الظلال والجو الرطب حتى لا تتسرب الحرارة إلى الأدوار السفلية والأستمتاع بالهواء العليل ولا سيما فى فصل الصيف (3) كما هو الحال فى بيت الكريدلية.

ويرجع استخدام الحدائق فى أسطح المنازل للعمارة المصرية القديمة فهم أول من استخدموا الأسطح كحديقة علوية كما يظهر ذلك من رسومهم (4).

الزخارف والقيمة

قال تعالى : { وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ }(5) وقال أيضاً : { إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ }(6)

وقال تعالى فى سورة فصلت (7) : { فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ }.

ويذكر الحق سبحانه فى سورة ق (8) : { أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ } وفى سورة الملك (9) { وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ }.

ومن هنا لما كان للتوجيه القرآنى دور كبير فى مجال الزخرفة الإسلامية فعلينا ألا ننظر إلى زخارف العمارة على أنها مجرد زخارف للزينة فقط بل هى تحمل فى طياتها قيمة نفعية.

ولتوضيح هذه الفكرة نرى أن المقرنصات (شكل رقم 28) فى العمارة الإسلامية قامت بهذه الأزدواجية النفعية فى مجال العمارة فاستخدمت المقرنصات كمناطق أنتقال وفى نفس الوقت استخدمت كعنصر زخرفى (10) ونرى ذلك فى كثير من العمائر الإسلامية وهذا فى الواقع يهدم فكرة جوستاف لبون التى قال فيها أن العرب كانوا يكرهون ما كان يحبه الأغريق من الأوجه الملساء الموحدة والزوايا والأشكال القائمة (11).

وقد استخدم المسلمون أشكالاً عديدة من الزخارف النباتية كالزهور والوريقات النباتية والمراوح النخيلية وأوراق الأكنثس بالإضافة إلى الفروع النباتية وعناقيد العنب وأوراقه. وقد ظهر عنصر الحركة والإيقاع فى تأليف الزخارف الإسلامية المعروفة بأسم الآرابيسك (شكل رقم 29) .

---

(1) : أحمد جمال الدين محمد أحمد ، المرجع السابق ، ص 70.

(2) : أحمد جمال الدين محمد أحمد ، المرجع نفسه ، ص 72.

(3) : نفسه ، ص 135.

(4) : نفسه ، ص 141.

(5) : سورة الحجر ، الآية رقم 16.

(6) : سورة الصافات ، الآية رقم 6.

(7) : سورة فصلت، الآية رقم 12.

(8) : سورة ق، الآية رقم 6.

(9) : سورة الملك، الآية رقم 5.

(10) : Sameh (K.D), Stalactites in Muslim Architecture, Cairo University Press 1954,p1

(11) : جوستاف لوبون ، المرجع السابق ، ص 530.

شكل رقم (30) : زخارف الطبق النجمى

شكل رقم (28) : عنصر المقرنصات والشرفات

شكل رقم (29) : زخارف الآرابيسك

والمصدر لمعظم الزخارف الهندسية الإسلامية هو الدائرة ويستخدم القطر كخط أساسى للوحدة حيث يقسم المحيط مراعياً نظاماً ومحدداً تناسباً ومصدر الألهام للمزخرف الإسلامى فى استنباط الدائرة كمصدر أساسى فى زخارفه ناتج عن عقيدة الإسلام حيث الكعبة هى مركز لدائرة كبيرة تحيط بالمسلمين فى شتى أنحاء العالم ويتجهون فى صلاتهم صوب الكعبة ([1]) وفى هذا المجال ابتكر المسلمون زخرفة الطبق النجمى (شكل رقم 30)

سابعاً : القيمة التشكيلية المعمارية والعمرانية (Value for Architectural & Urban form)

تحمل العمارة الإسلامية الكثير من القيم التشكيلية المعمارية والعمرانية (Value for Architectural & Urban form) ومن أمثلة ذلك أن بعض الأماكن كانت تعتبر من أماكن الجذب العمرانى خلال العصور الإسلامية التى مرت على مصر ويمثل شارع المعز لدين الله بالقاهرة قيمة تشكيلية معمارية وعمرانية كبيرة وذلك بسبب تنوع عمائره سواء من حيث الوظيفة والقيمة الفنية والتاريخية فهناك عمائر من العصر الفاطمى وأخرى من العصر المملوكى البحرى والمملوكى الجركسى والعصر العثمانى وعصر محمد على فهو بذلك يمثل حقب تاريخية متنوعة.

ومن أهم مميزات شارع المعز أنه لا زال محتفظاً بقيمته الفنية والتاريخية ولم تؤثر فيه رتابة العمارة الحديثة حتى الآن ومن ثم فإنه من المفيد المحافظة على هذه السمة.

ثامناً : القيمة الجمالية (Aesthetic Value)

كل عمل فنى هو وليد عصره والعصر فى معظم الأحيان هو المنبع الأصيل لعواطفنا الفردية ومن ثم فإن كل مرحلة ثقافية تنتج الفن الذى ينتمى إليها والذى يستحيل أن يتكرر ([2]).

وتمثل القيمة الجمالية الجانب الأنفعالى فى العمارة والقيمة الفنية الجمالية هى من المحددات الرئيسية لقيمة المبنى.

وقد وضع توماس مونرو (Thomas Munro) قياساً للقيمة الجمالية عبارة عن خمسة مستويات هى ([3]).

المستوى الأول : وهو مستوى المحاكاة ومن أمثلته فى العمارة الإسلامية تلك العمائر الخاصة بالسلاطين والقادة والحكام فى عصر معين.

المستوى الثانى : وتتمثل عمائره فيما شيد بكثرة ولكن لم يشيده قادة أو رجال سياسة مثل بيوت القاهرة.

المستوى الثالث : وهو الأبنية التى لا تمثل أسلوباً أو أتجاه ما ولكنها تحوز الأعجاب وقد تحيا فى عصر ما إلا أنها لا تعبر فنياً عن هذا العصر ولا ترتبط بتاريخ فنى أو تطور تاريخى.

المستوى الرابع : وهو يمثل الأساليب المهجورة والتى لا تعرف إلا بواسطة المؤرخين والعلماء وتمثل الأبنية التقليدية التى لم تقام لأى غرض فنى أو جمالى وإنما لتحقيق غرض وظيفى مؤقت.

المستوى الخامس : ويمثل الأساليب الرديئة وغير المهمة وهى مبانى ليست بذات قيمة.

ومن أمثلة القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية عنصر الشرفات ويتضح ذلك فى التكرار من خلال شكلين متكررين كتلة وفراغ كما أن الفراغ بين هذه الشرفات يترك راحة للبصر لتقوية الرؤية البصرية حتى تستعد العين لأستقبال العنصر الذى بعده ([4]) (شكل رقم 28).

عوامل تثبيت القيمة

الفقه الإسلامى ودوره فى تثبيت القيمة

اختلفت نظرة المسلمين القدماء إلى العمارة الإسلامية فنظروا إليها كقيمة دينية ومن ثم كان لعامل الدين والعقيدة دور كبير فى هذا المضمار ومن هنا كانت العمائر الإسلامية ـ ولا سيما الدينية منها ـ منارة إشعاع للفكر والتطور على مر العصور الإسلامية.

وفى القرآن الكريم يقول الحق سبحانه وتعالى : " لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ([5]) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ " ([1]).

---

[1] () : حسام عزمى ، المرجع السابق ، ص 184.

[2] () : فاسيلى كاندنسكى ، الروحانية فى الفن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م ، ص 26.

[3] () : Munro (T), Evalution in the Arts and other theories of Culture History, Cleveland Museum of Arts1982, p 51.

أحمد عبد الوهاب السيد ، المرجع السابق ، ص ص 232 . 233 ؛ لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 19.

[4] () : مصطفى عبد الرحيم محمد ، المرجع السابق ، ص 75.

[5] () : سورة التوبة ، آية رقم 108.

وقال تعالى : " قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ " ([2]).

" يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ " ([3])

وفى السنة النبوية الشريفة ما يوضح هذا الجانب فقد ورد فى الحديث " من بنى لله بيتاً ولو كمفحص قطاه بنى الله له بيتاً فى الجنة ".

وقد اعتمدت حركة العمارة الإسلامية فى الجانب الفقهى على الحديث النبوى الشريف " لا ضرر ولا ضرار " ([4]).

ومن نماذج إدراك السلاطين والحكام لقيمة المبنى ـ لا سيما المبانى ذات الطابع الدينى ـ وأثر العقيدة الإسلامية فى ذلك كتابة قوله تعالى " ومن أظلم ممن منع مساجد الله ... " على كثير من العمائر الدينية بالقاهرة.

ومن الأمثلة البارزة فى هذا المضمار ما يروى أنه لما فرغ الأمير علاء الدين طيبرس الخازندار نقيب الجيوش بمصر فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون فى عام 719هـ/ 1319م من إنشاء المدرسة الطيبرسية الملحقة بالجامع الأزهر احضروا إليه كشفاً يبين مقدار ما أنفقه فى بنائها من مال ، فطلب طستا به ماء وغسل أوراق الحساب كلها من غير أن يقف على شئ ([5]).

وفى ظل القيمة وعلاقتها بالفقه فقد قسمت العمائر الإسلامية إلى عدة مستويات منها عمائر للعامة يجوز الدخول إليها لأى شخص وهى الجوامع والمساجد وعمائر عامة وخاصة فى نفس الوقت ومن ذلك خانقاة بيبرس الجاشنكير التى خصصت كخانقاة فقط وعمائر خاصة ومن أمثلتها البيوت والقصور الخاصة بالأمراء.

الوقف ودوره فى المحافظة على القيمة

لقد وجهت الحضارة الإسلامية منذ بدايتها إهتماماً خاصاً للمبانى التراثية وذات القيمة ، ويتضح ذلك من نظام الأوقاف والأحباس والذى ترجعه كتابات المؤرخين إلى أقدم العصور الإسلامية وإليه يرجع الفضل فى المحافظة على تراث أثرى قيم ما كان ليبقى لولا ما حبس عليه من نفقة لصيانته وحفظه .

ويرى البعض ـ من خلال وثائق الوقف فى العصر المملوكى ـ أن سلاطين المماليك وأمرائهم استغلوا إجازة الوقف على المنشآت الدينية وطلبة العلم بها فأوقفوا الكثير من الأوقاف بما يزيد كثيراً عن ما تتطلبه هذه المنشآت وجعلوا لذريتهم نصيباً من هذا الوقف وهو هدف كان القصد منه تأمين الذرية فى مصر([6]).

ومهما يكن من أمر فقد كان الوقف هو الأسلوب التقليدى للمحافظة على العمائر الإسلامية واعتمد فى ذلك على نقل الملكية من جيل إلى آخر وإدارة المبانى العامة مثل الجوامع والمساجد والمدارس وغيرها بحيث أصبحت هذه الملكيات لا تستعمل لمكاسب خاصة وتم حمايتها من التقسيم بين الورثة لتحقيق المصلحة العامة ([7]).

وقد ساعد نظام ([8]) الأحباس والأوقاف على الاهتمام ببعض الأبنية وصيانتها والحفاظ عليها وخاصة الأضرحة والأبنية العامة الإسلامية ومنذ ذلك الوقت شهد الحفاظ على العمائر الإسلامية المحلى إهتماماً ملحوظاً ([9]).

كما جنب نظام الوقف المسئولين عن المدينة الكثير من إجراءات التدخل المفاجىء للحماية أوالصيانة إلا فى حالة حدوث كارثة طبيعية أو من صنع الإنسان تستوجب التدخل السريع([10]).

والتاريخ يعطينا الأمثلة الكثيرة على حرص الواقفين على المحافظة على الوقف ومن أمثلة ذلك أنه حدث فى عام 884هـ / 1479م أن أراد القاضى الوثوب على أوقاف المتوفاه آمنة بنت إسماعيل فبلغ السلطان قايتباى ذلك فقال : " أنا أحق من الأثنين ولكنى أعمل فيهم بالشرط وأحميهم من الغاصبين " ([11]).

([1]) : سورة التوبة ، آية رقم 109.

([2]) : سورة الأعراف ، آية رقم 29.

([3]) : سورة الأعراف ، آية رقم 31.

([4]) : خالد عزب ، فقه العمارة الإسلامية ، الطبعة الأولى القاهرة 1997م ، ص 18.

([5]) : المقريزى ، المصدر السابق ، ج 2، ص 383.

([6]) : محمد عبد الستار عثمان ، المرجع السابق ، ص 81.

([7]) : سناء عبد المقصود إبراهيم ، دراسة أساليب ترميم وحفظ الآثار العربية ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، كلية الهندسة 2001م ، ص 1.

([8]) : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 33.

([9]) : لبنى عبد العزيز ، المرجع نفسه ، ص 33.

([10]) : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق، ص 63.

([11]) : الصيرفى ، المصدر السابق ، ص 225.

وقد بدأ الوقف الخيرى يتعرض للتدهور منذ القرن التاسع عشر الميلادى فعندما تولى محمد على باشا حكم مصر عام 1220هـ/ 1805م جعل همه الأكبر الأستيلاء على موارد الأوقاف فقد أمر بأحصاء الأراضى الموقوفة فبلغت حوالى ستمائة ألف فدان فتضرر أصحابها ونظارها ([1]) وفرض ضريبة على أراضى الأوقاف وحرم علماء الأزهر من نظارتها ووضع يده على الأوقاف وتولى الأنفاق من إيراداتها على جهات البر التى حددها الواقف فإذا تبقى شىء من هذه الأوقاف ضمه إلى خزانة الدولة ([2]).

وإحقاقاً للحق فإن الخديوى سعيد يعتبر من أهم الولاة الذين اهتموا بالأوقاف وتجديدها وتحديد ريعها ومن ذلك زيادة أوقاف بعض المنشآت الدينية كأوقاف مدرسة السلطان حسن عام 1287هـ/1870م ([3])(شكل رقم 20) .

وفى عام 1313هـ/1895م صدرت لائحة إجراءات ديوان عموم الأوقاف ([4]).

وفى عام 1331هـ/1913م أنشئت وزارة مستقلة للأوقاف ([5]) ومن أقسامها قسم المساجد ويختص بإدارة المساجد وملحقاتها كالزوايا والمقارىء والأضرحة والمدافن والأسبلة التى ليست بها مكاتب ويتبع عمال هذه الأماكن هذا القسم ([6]) .

وقد استمر التدهور فى نظام الأوقاف نتيجة لعدة قرارات اتخذتها الحكومة المصرية ومن ذلك صدور القانون رقم 247 لسنة 1953م بشأن النظر فى الأوقاف الخيرية وتعديل مصاريفها على جهات البر ([7]).

وفى عام 1382هـ/1962م أصدرت الدولة القرار رقم 44 لعام 1962م وينص على تسليم الأوقاف الزراعية الموقوفة على جهات البر الخالص إلى الإصلاح الزراعى وهنا حدثت فوضى وتلاعب فى حجج الوقف فاختفت بعض الوثائق فأعلن وزير الأوقاف فى أول أكتوبر عام 1389هـ/1969م قراراً بمنح مكافأة قيمتها خمسة فى المائة من

قيمة الوقف لكل من يقدم مستندات وقفية بشرط أن تكون غير معروفة لوزارة الأوقاف([8]).

وقد ضاعت كثير من الأوقاف ومنها على سبيل المثال أوقاف الأزهر الشريف وأصبحت كثير من المؤسسات التعليمية فى مصر ومنها الأزهر تحصل على ميزانية تحددها الدولة من ميزانيتها العامة وعلى الرغم من أن لائحة إجراءات وزارة الأوقاف تنص على أن وزير الأوقاف ينوب عن شيخ الأزهر فى إدارتها وأنه يدير الأوقاف بطريق الوكالة عنه إلا أنه ليس لشيخ الأزهر القدرة على مراجعة وزارة الأوقاف فى هذا الشأن وهى الوزارة التابع لها الأزهر ([9]).

أما الوقف الأهلى فقد انتهى مع القانون الذى أصدرته حكومة الثورة وهو القانون رقم 180 لسنة 1952م ([10]) وبهذا القانون أنتهت وظيفة نظارة الأوقاف الأهلية ولكن بقيت أيدى النظار على الأوقاف حتى يتم تسليمها للمستحقين الذين أصبحوا ملاكاً ثم آلت بعد ذلك إلى وزارة الأوقاف حتى تم تقسيمها ([11]).

وفى عام 1935م كان عدد الأماكن التى تنظرها وزارة الأوقاف هى (7930) سبعة آلاف وتسعمائة وثلاثون مكاناً منها (2025) ألفان وخمسة وعشرون مكاناً خرباً أو فى حكم الخراب وأكثر الباقى فى طريقه إلى الزوال والخراب أما الأطيان الزراعية فكانت مساحتها حوالى 31523 فداناً أصبحت بوراً ([12]).

---

[1]() : الجبرتى ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 151 ؛ مصطفى رمضان ، المرجع السابق ، ص 451.

[2]() : عبد العزيز الشناوى ، دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر إبان الحكم العثمانى ، بحث ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، مارس . إبريل 1969م ، القاهرة 1972م ، ص ص 48 . 49.

[3]() : أمين سامى باشا ، المرجع السابق، ج3 ، المجلد الثانى ، ص 873.

[4]() : جريدة الوقائع المصرية ، العدد 82 بتاريخ 27 المحرم 1313هـ/ 20 يوليه 1895م

[5]() : حسين حسان محمد حسين ، الأوقاف الإسلامية فى مصر 1331 . 1373هـ/1913 . 1953م ، مخطوط رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية 1995م ، ص 30.

[6]() : حسين حسان محمد حسين ، المرجع السابق ، ص 57.

[7]() : حسين حسان محمد حسين ، المرجع نفسه ، ص 384.

[8]() : مصطفى محمد رمضان ، دور الأوقاف فى دعم الأزهر كمؤسسة علمية إسلامية ، بحث فى ندوة التطور التاريخى لمؤسسة الأوقاف فى العالم العربى والإسلامى . القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد 1404هـ/1985م ، ص ص 29 . 30 ؛ حسين حسان محمد حسين ، المرجع السابق ، ص 227.

[9]() : مصطفى محمد رمضان ، المرجع السابق ، ص 32.

[10]() : محمد أبو زهرة ، أنهاء الوقف الأهلى والأدوار التى مر بها ، مجلة القانون والأقتصاد ، العددان الأول والثانى 1373هـ/1953م ، ص 68 ؛ حسين حسان محمد حسين ، المرجع السابق ، ص 380.

[11]() : حسين حسان محمد حسين ، المرجع نفسه، ص 381.

[12]() : عبد الحكيم الرافعى ، الأقتصاد السياسى ، ج2 ، القاهرة 1937م ، ص 615 ؛ حسين حسان محمد حسين ، المرجع السابق ، ص 375.

ومما لاشك فيه أن الوقف حافظ على القيم التى حملتها العمارة الإسلامية ويرى البعض أن المبانى التى هدمت هى تلك المبانى التى لم يكن لها وقف أو ضاعت أوقافها أو تلك المبانى التى زالت من حولها الأحياء السكنية أو هجرها سكانها ([1]).

الخصوصية ودورها فى تثبيت القيمة

تمثل الخصوصية ([2]) قيمة أساسية فى نشأة المجتمعات الحضارية فهى مسئولة عن إرساء العلاقات والحدود بين الناس سواء على المستوى الشخصى أو الجماعى ([3]).

والخصوصية ليست وليدة فكر المحدثون فقد أشار ابن بطوطة إليها فقال فى وصف القاهرة : " ... ولها خصوصية النيل الذى خطرها وأغناها عن أن يستمد القطر قطرها ... " ([4]).

وفى الواقع أن ابن بطوطة قد أشار إلى نقطة مهمة فى هذا المجال ترتبط بالمنشآت المائية ألا وهى أن وجود نهر النيل كان له أثر بالغ فى كثرة المنشآت المرتبطة باستخدام الماء كالأسبلة والحمامات وهى ظاهر تكاد تنفرد بها القاهرة عن غيرها من المدن.

وتعتبر الأسوار المحيطة بالمدن إحدى مظاهر الخصوصية حيث كانت مدينة القاهرة فى العصر الفاطمى ذات طابع خاص كما سبق القول وهذا فى الواقع ساعد على بقاء هذه المدينة فى أداء دورها الحضارى.

وحتى بعد أن زالت عن المدينة صفة الخصوصية الأولى فأنها دخلت فى خصوصية من نوع آخر وتتضح هذه الخصوصية فى التخطيط العام لمدنية القاهرة التى تتدرج فيها الخصوصية تبعاً لنظام محدد فالشارع الرئيسى وهو الشارع الأعظم (شارع المعز) هو الشارع المخصص للنشاط التجارى وهو أيضاً الشارع الذى شيدت على جانبيه معظم المنشآت الدينية ومن هنا كان شارع المعز يمثل مكاناً عاماً ومن هذا المكان العام تتفرع الدروب والحارات التى تخترقها الشوارع الضيقة وهى هنا تمثل الأماكن نصف العامة وتتفرع من الشوارع المركزية والأحياء أماكن خاصة وهى المبانى السكنية ([5]).

أما البوابات كباب النصر والفتوح وباب زويلة فقد كانت تؤدى وظيفة الخصوصية عند إغلاقها ليلاً أو عند الضرورة.

وكان تقسيم المدينة الإسلامية إلى عدة خطط وحارات ودروب من أهم الأسباب التى ساعدت على تدعيم قيمة الخصوصية ومن ثم المحافظة على العمائر الإسلامية من أى عبث خارجى ومن ثم كان مجتمع الحارة مجتمعاً مميزاً يعرف أصحابه بعضهم البعض ويصعب على الشخص الدخيل أن يخترقه بسهولة.

وكان للخصوصية أثر واضح فى إيجاد طراز مميز لا سيما فى العمائر المدنية ومن ذلك واجهات المنازل الإسلامية التى تكاد تختفى فيها الفتحات بالطابق الأول أما فتحات الطوابق العلوية فهى على شكل مشربيات وشبابيك من الخشب الخرط ([6]) وعادة ما كانت الفتحات التى تطل على الخارج فى البيوت الأثرية فى مستوى أعلى من مستوى النظر كما سبق القول.

كما تحققت قيمة الخصوصية فى البيوت الإسلامية من الداخل فوجد فى بعضها فنائين خصص واحد منهما لصاحب المنزل وعائلته مع وجود بعض العناصر الأخرى مثل المقعد والتختبوش والمندرة ([7]) كما تم الفصل بين الأنشطة المختلفة واستقلالية الحياة الأسرية (جناح الأستقبال ـ جناح المعيشة) وكذلك الفصل فى العلاقات المكانية بين الجنسين (السلاملك والحرملك) لتحقيق قدر معين من الخصوصية ([8]).

وتوفرت قيمة الخصوصية فى المنشآت الدينية عن طريق المداخل المنكسرة فنجدها فى كثير من العمائر الإسلامية الدينية كالجوامع والمساجد والخانقاوات وغيرها ونراها فى المنشآت المدنية كالوكالات والحمامات والبيوت والقصور وهى توفر قيمة الخصوصية السمعية والبصرية معاً.

---

[1]() : ثروت عكاشة ، القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ، القاهرة ، دار المعارف 1981م ، ص 50.

[2]() : للخصوصية تعريفات كثيرة وفى مجال العمارة فإن لفظ الخصوصية (Privacy) يعنى قدرة الإنسان على استخدام الفراغ المعمارى والعمرانى لتنظيم معاملاته مع المجتمع أو أن يجعل نفسه أكثر قرباً أو أقل اقتراباً بمن حوله . وترتبط الخصوصية ببعض العناصر كالعادات والتقاليد الثقافية للمجتمع .أشرف السيد البسطويسى ، الخصوصية فى تخطيط وتصميم المناطق السكنية ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 1998م ، ص ص 9 . 17.

[3]() : أشرف السيد البسطويسى ، المرجع السابق ، ص 6.

[4]() ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 25.

[5]() : أشرف السيد البسطويسى ، المرجع السابق ، ص 52.

[6]() : خالد عزب ، المرجع السابق ، ص 75.

[7]() : أشرف السيد البسطويسى ، المرجع السابق ، ص 55.

[8]() : أشرف السيد البسطويسى ، المرجع نفسه ، ص 36.

ومن حيث التخطيط نلاحظ توفر الخصوصية فى التخطيط الداخلى لبعض المنشآت المعمارية ومن أمثلة ذلك تخصيص إيوانات المدرسة للمذاهب الأربعة كما هو الحال فى مدرسة السلطان حسن (شكل رقم 20) حيث خصص كل إيوان من الأيوانات الأربعة لتدريس مذهب من المذاهب الأربعة (شكل رقم 25).

العاطفة والحنين إلى الماضى ودورهما فى تثبيت القيمة

تمثل العاطفة والحنين إلى الماضى دوراً مهماً فى مجال المحافظة على القيمة المعمارية ومما يدلل على ذلك ما نراه فى بعض المنشآت الحديثة التى نفذت وفق معايير العمارة الإسلامية ومن ذلك مبنى دار الأفتاء المصرية وهو من أعمال المكتب العربى للتصميمات والأستشارت الهندسية وهو يأخذ الطابع الإسلامى فى قالب معاصر ويظهر ذلك فى استخدام المشربيات والعقود الضخمة للمدخل والنافورات والتفاصيل والزخارف الإسلامية وكذلك دار الأوبرا المصرية من أعمال (Nikken Sikhei) وقد استخدم فى عمارتها الزخارف الإسلامية والعقود ([1]).

العمارة الإسلامية فى مدينة القاهرة فى ظل مفهوم الأثر

لقد بدأ الأهتمام بالآثار على المستوى العالمى منذ عام 1922م ([2]) ولكن لا يتسع المجال للحديث عن هذه الجهود ومن ثم فسوف نستعرض هنا الجهات المسئولة عن الآثار فى مصر ودورها فى التعامل مع هذه الآثار ([3]).

تطور الاهتمام المحلى بالآثار

جاءت الخطوة الأولى للاهتمام بالآثار المصرية فى ركاب الحملة الفرنسية على مصر أواخر القرن الثامن عشر الميلادى وكان من نتيجة ذلك كتاب وصف مصر ([4]).

وقد بدأ الأهتمام المحلى للحفاظ على الآثار والمبانى التراثية فى خطوات فعلية ([5]) تمثل مرحلتين من مراحل الأهتمام وتتمثل المرحلة الأولى فى الفترة الممتدة من عهد محمد على حتى قيام ثورة 23 يوليو عام 1952م والمرحلة الثانية وتمثل الأهتمام بالآثار الإسلامية بعد قيام ثورة 23 يوليو 1952م حتى الآن.

المرحلة الأولى الآثار الإسلامية من عهد محمد على حتى قيام ثورة 23 يوليو عام 1952م

فى بداية عهد حكم محمد على باشا لم يكن للآثار المصرية ([6]) أهمية كبيرة وإن بدأ الأهتمام فى صورة أوامر صدرت بعدم جواز التنقيب أو إزالة الأحجار من المبانى القديمة وقد انصب ذلك على الآثار الفرعونية ([7]).

1 ـ تأسيس مصلحة الآثار المصرية التى كانت تتبع وزارة المعارف (1835م).

فى عام 1835م أصدر محمد على باشا أمراً عالياً بإنشاء مصلحة الآثار والمتحف المصرى ([8]) بالقاهرة ولكن ذلك لم ينفذ فى حينه.

ونشطت خلال تلك الفترة البعثات الأجنبية وكان على رأسها البعثات الفرنسية ومن أشهر روادها ماريت (Mariette) وقد اهتم المنقبون خلال تلك الفترة بالآثار المصرية.

وفى عام 1858م أصدر سعيد باشا قراره بجمع الآثار المصرية وتخصيص مكان لها فى بولاق وتعيين ماريت مأموراً على أعمال الآثار الفرعونية ومسئولاً عن المتحف المصرى ([9]).

وفى عام 1881م عين جاستون ماسبيرو مديراً عاماً لمصلحة الآثار المصرية ([1]).

---

[1]() : إيمان محمد عيد عطية و حسين صبرى الشنوانى ، المفردات التراثية وكيفية تطويرها لتلائم العمارة المصرية المعاصرة مؤتمر الأزهر الهندسى الدولى السادس 1 ـ 4 سبتمبر 2000م ، من ص 551 إلى ص 558 ، ص 560.

[2]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 32.

[3]() : للأستزادة انظر : نسرين اللحام ، الحفاظ على المبانى التراثية وتوظيفها ، مخطوط رسالة ماجستير 1996م ، ص 112 ، حسام أبو الفتوح ، التنمية بين التخطيط لها وتقييمها ، بحث منشور ، المؤتمر التاسع للمعماريين المصريين ، القاهرة 1999م .

[4]() : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 34.

[5]() : فاروق فايق أرميانوس ، التشريعات المتعلقة بالآثار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1960م.

[6]() : أهدى محمد على باشا عام 1247هـ/1831م بعض الأعمدة بالأقصر إلى فرنسا كما أهدى ملكة بريطانيا تابوت أثرى وذلك فى عام 1254 هـ/ 1838م وأرسل للبابا عام 1257هـ/1841م مجموعة من الأعمدة الأثرية كما سمح عباس باشا بخروج بعض المومياوات الفرعونية إلى إنجلترا عام 1265هـ/1848م كما خرجت فى نفس العام مجموعة كبيرة من الآثار إلى النمسا : أمين سامى باشا ، المرجع السابق ، ج 3 ، المجلد الأول ، ص ص 15 ، 23.

[7]() : أمين سامى باشا ، المرجع السابق ، ج2 ، ص ص 341 ـ 418 ـ 449.

[8]() : أسامة أحمد إبراهيم ، الشروط البنائية للبناء بالمناطق السكنية التاريخية دراسة تطبيقية على المنطقة التاريخية بمدينة طنطا ، مؤتمر الأزهر الهندسى الدولى السادس 1 ـ 4 سبتمبر 2000م ، من ص529 إلى ص 550 ، ص 531.

[9]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ص 41 ـ 42.

2 - إنشاء لجنة حفظ الآثار العربية عام 1882م

فى عام 1881م قدمت نظارة الأوقاف تقريراً للخديوى توفيق حول ضرورة حفظ الآثار الإسلامية فأصدر الخديوى المذكور أمره العالى فى 26 محرم 1299هـ/ 28 ديسمبر 1881م بتشكيل لجنة حفظ الآثار العربية تحت رئاسة وزير الأوقاف ([2]).

وكان الأمر العالى الذى أصدره الخديوى توفيق يحدد اختصاصات لجنة حفظ الآثار والتى تتمثل فى إجراء اللازم لجرد وحصر الآثار العربية القديمة وملاحظتها وصيانتها وحفظها من التلف وإعلام وزارة الأوقاف بهذه الآثار سواء كانت مساجد أم زوايا أم أضرحة أم قباب أم أسبلة أم معابد ([3]).

وكان لهذه اللجنة دور كبير فى الحفاظ على الآثار الإسلامية واحتواء العديد من الأبنية المهمة وحمايتها والحفاظ عليها وإرساء مبدأ إعادة الاستخدام والتوظيف لها كعملية متممة لعمليات الحفاظ عليها.

وفى مارس 1913م تقدمت لجنة حفظ الآثار العربية إلى مجلس النظار بمذكرة مشروع قانون خاص بحماية الآثار المصرية من العصر الفرعونى حتى العصر الحديث وتضمن مشروع هذا القانون عشرين مادة شملت حماية هذه الآثار وما تشتمل عليه من فنون ونقوش ومعلومات ([4]) وكانت لجنة حفظ الآثار ومن بعدها إدارة حفظ الآثار تقوم بنشر الدراسات ومجموعة التقارير والبحوث التى تقوم بها عن الآثار وطرق صيانتها فى كراسات بلغ عددها فيما بين عامى 1883 - 1946م أربعون كراسة توقف صدورها أثناء ([5]) الحرب العالمية الأولى أى عام 1914م.

وحتى عام 1914م كانت هذه الكراسات تصدر باللغتين الفرنسية والعربية وقد صدر من هذه المجموعة خمس وعشرون مجلداً وأصبحت بعد الحرب العالمية الأولى تصدر باللغة الفرنسية فقط حتى عام 1946م ([6]).

ومع ما قامت به لجنة حفظ الآثار من مجهودات كبيرة فى المحافظة على الآثار إلا أن ذلك لم يمنع البعض من التعدى على الآثار الإسلامية ([7]) ومن ذلك أنه أثناء شق شارع السكة الجديدة (شارع جوهر القائد) عام 1262هـ/1846م هدمت زاوية نصر الله شرف الدين والتى تعود بتاريخها إلى العصر المملوكى وشيد على جزء منها أربع دكاكين ([8]) وفى حى عابدين أزيل جامع الزير المعلق الذى أنشأه عبد الرحمن كتخدا بحارة الزير المعلق وجامع محمد بك المدبولى المشيد عام 1212هـ/1797م وجامع الكريدى ([9]) كما أزيل من الأزبكية الحمام والجامع الذى شيدهما الأمير أزبك من ططخ ([10]) كذلك أزيلت سراى حليم باشا وغيرها([11]).

وفى عام 1290هـ/1873م تم فتح شارع بيت القاضى ومن ثم ترتب على ذلك هدم جزء كبير من المدرسة الظاهرية بيبرس بشارع المعز ([12]).

وقد أشرنا من قبل إلى بعض القوانين التى صدرت لتعريف الآثار ولكن فى عام 1936م صدر قرار من الملك فاروق بنقل لجنة حفظ الآثار من نظارة الأوقاف إلى نظارة المعارف العمومية وأطلق عليها " إدارة حفظ الآثار " كما صدر قرار بتشكيل " المجلس الأعلى لإدارة حفظ الآثار العربية " ([13]).

وفى عام 1951م صدر قانون الآثار المصرى رقم 215 لسنة 1951م كما سبق القول.

المرحلة الثانية : الأهتمام بالآثار الإسلامية بعد قيام ثورة 23 يوليو 1952م حتى الآن.

---

[1]() : طوجو مينا ، المقتنيات الجديدة بالمتحف المصرى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الأول ، العددان الأول والثانى ، مايو وأكتوبر 1948م من ص 210 . ص 222 ، ص 210 .

[2]() : دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محافظ عابدين ، المحفظة رقم 163 أوقاف ، لجنة حفظ الآثار القديمة (14 / 11 / 1888 . 1900م) الوثيقة رقم 8 بتاريخ 27 محرم عام 1299هـ وقلم نشر المطبوعات الحكومية تقويم عام 1930م)

[3]() : دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محافظ عابدين ، المحفظة رقم 163 أوقاف .

[4]() : دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محافظ عابدين ، المحفظة رقم 163 أوقاف .

[5]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 45.

[6]() : حسام عزمى ، المرجع السابق ، ص 106.

[7]() : على باشا مبارك ، المرجع السابق ،ج3 ، ص 148.

[8]() : على باشا مبارك ، المرجع نفسه ، ج3 ، ص 305.

[9]() : نفسه ، ص 324.

[10]() : نفسه ، ص 383.

[11]() : أمين سامى باشا ، المرجع السابق ، ج3 ، المجلد الثانى ، ص 534.

[12]() : على باشا مبارك ، المرجع السابق ، ج2، ص 90.

[13]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 50.

عندما قامت ثورة 23 يوليو عام 1952م لم يكن من أهدافها التى صاغتها المحافظة على التراث الأثرى وكان لدخلها المحدود وضغوط تحديث الدولة فى فترة وجيزة أكبر الأثر على إهمال الاهتمام بالآثار ومن ثم تم إزالة ومحو معالم ومناطق تراثية كثيرة ([1]) وكان مد خط القطار الكهربائى بين قلب مدينة القاهرة والمناطق الصناعية الجديدة شمال وجنوب المدينة قد أدى إلى شق سور مجرى العيون فقد كان الماضى خلال تلك الفترة يمثل معانى سيئة ترتبط بالتخلف والجهل وسوء الأحوال الإقتصادية والاجتماعية ([2]).

كما كان لبعض مشروعات الثورة دور كبير فى إزالة وإحلال بعض المناطق القديمة بدعوى التحديث والتطوير([3]).

وكان من نتيجة هذا الأهمال أن تأثرت المناطق الأثرية الإسلامية داخل المدينة لحاجة التنمية الجديدة إلى أراضى عمرانية رخيصة غالباً ما تتوافر فى المناطق القديمة من المدن .

أما القاهرة الخديوية فقد كان الأهمال بها واضحاً لأرتفاع تكاليف الصيانة والرغبة فى إعادة استخدام كثير من آثار أسرة محمد على تحديداً كمقر للسكنى منخفض الإيجار كما كان لمشروع " مدرسة كل يوم " الذى تبنته الثورة فى السنوات الأولى لقيامها للقضاء على الأمية ونشر التعليم دور كبير فى ذلك فقد اتخذت كثير من هذه المدارس الجديدة مقراً لها بقصور باشوات وأمراء الأسرة المالكة وتبع ذلك كثير من التغيرات فى الشكل المعمارى لهذه المبانى وإضافة الخدمات إليها والبناء على المساحات الخضراء لتوفير الفصول اللازمة وتحولت كثير من المبانى الأثرية داخل القاهرة إلى مدارس ومخازن ومقار لموظفى التربية والتعليم ومن أمثلة ذلك أن كلية الزراعة بجامعة عين شمس التى لم تجد مقراً لها أفضل من حديقة قصر محمد على بشبرا ([4])

وفى يناير عام 1953م صدر القانون رقم 22 بإنشاء مصلحة الآثار المصرية والذى تم فيه تمصير إدارة حفظ الآثار المصرية بتولى المصريين رئاستها.

وصدر فى نوفمبر عام 1953م القانون رقم 529 والخاص بتنظيم مصلحة الآثار وبناء على هذا القانون تم تشكيل لجنتين دائمتين إحداهما للآثار المصرية القديمة والثانية للآثار الإسلامية ([5]).

وفى عام 1955م وضع مشروع التخطيط العام لمدينة القاهرة وهو أول مشروع على المستوي التنفيذي للمحافظة على المناطق ائتاريخية ([6]).

وفى عام 1956م تم تأسيس مركز دراسة وتسجيل الآثار بالمشاركة مع المنظمة الدولية للعلوم والفنون والآداب ([7]) وفى عام 1960م وضع مشروع تخطيط قاهرة الفاطميين ([8]) وفى عام 1968م شكلت لجنة البحوث التخطيطية بوزارة الإسكان والمرافق ([9]) وقد توقفت أعمال هذه اللجنة ولم تنفذ توصياتها رغم أهميتها، ورؤيتها الشاملة لحل مشاكل القاهرة التاريخية ([10]).

هيئة الآثار المصرية ودورها فى مجال الآثار الإسلامية (1971 - 1994م)

ظهرت هيئة الآثار المصرية عام 1971م بعد صدور القرار الجمهورى رقم 2828 لعام 1971م وقد نص القرار على أن هذه الهيئة تتبع وزارة الثقافة ومقرها القاهرة ومجلس إدارتها هو المسئول عن كافة الأعمال الخاصة بحماية الآثار المصرية والقبطية والإسلامية وغيرها وتنقل إليها اختصاصات مصلحة الآثار ومجالس إدارة كل من مركز تسجيل الآثار المصرية وصندوق تمويل مشروع إنقاذ آثار النوبة وصندوق تمويل الآثار والمتاحف ([11]).

---

[1]() : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 191.

[2]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ص 66 . 67.

[3]() : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 187.

[4]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ص 66 . 67.

[5]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 52.

[6]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع نفسه ، ص 35.

[7]() : أسامة أحمد إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 531.

[8]() : محمد عباس زعفرانى ، إعادة تخطيط أحياء القاهرة ذات القيمة التاريخية ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية الهندسة 1968م ، ص 111 ؛ أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 52.

[9]() : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 35.

[10]() : لبنى عبد العزيز ، المرجع نفسه ، ص 36 ؛ أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ص 60 . 61.

[11]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع نفسه ، ص 146.

وفى عام عام 1979م أدرجت القاهرة الإسلامية أو القديمة (The Old City of Cairo) ([1]) ضمن التراث العالمى وذلك للحصول على تمويل خارجى من المؤسسات الدولية والإقليمية فى أعمال الحفاظ والترميم ([2]).

وفى فبراير عام 1980م قامت منظمة اليونسكو بإرسال بعثة إلى مصر لإعداد تقرير بشأن إستراتيجية الحفاظ على مدينة القاهرة القديمة وتركزت أعمال البعثة فى مساحة 3.5 كم2 والتى يوجد بها ما يقرب من 450 أثراً إسلامياً مسجلاً وأهم ما تضمنه تقرير اللجنة : عدم كفاية الموارد المتاحة لأعمال الصيانة للمبانى الأثرية وعدم تناسبها مع ضخامة المشكلة وخطورتها وخاصة لما تعانى منه هذه المنطقة من مشاكل أهمها : خطورة المياه الجوفية وارتفاع منسوبها وتدهور حالة مواد البناء وتلف المبانى الأثرية بالمنطقة وضيق المسارات التى تتخللها وتكدس المرور وعدم وجود انسياب وسهولة فى المرور والأنشطة الصناعية والتجارية الجديدة والغير ملائمة والتى ساعت على تغيير طبيعة المنطقة ([3]).

وفى عام 1980م أيضاً وبتكليف من وزارة التعمير قام المكتب العربى للتصميمات الإستشارات الهندسية بإعداد دراسة للإرتقاء بحى الجمالية كبداية لمشروع متكامل لأحياء القاهرة ([4]).

وقد نشطت البعثات الأجنبية للمحافظة على الآثار الإسلامية خلال تلك الفترة تحت إشراف إدارة الآثار الإسلامية والقبطية ومن ذلك ما قام به المركز البولندى من صيانة لمجموعة قرقماس أمير كبير التى كانت قد أصلحت من قبل لجنة حفظ الآثار عام 1883م.

أما المعهد الألمانى للآثار الشرقية بالقاهرة فقد بدأ فى التعامل مع بعض المبانى الأثرية الإسلامية منذ عام 1982م بمنطقة درب قرمز ومن ذلك ترميم مدرسة الأمير مثقال 763هـ/1368م وضريح الشيخ سنان 994هـ/1585م ومدرسة تتر الحجازية 784هـ/1360م وسبيل وكتاب عبد الرحمن كتخدا 1154هـ/1744م وقصر بشتاك 735هـ/1339م وقد أسفر هذا التعاون بين هيئة الآثار المصرية والمعهد الألمانى للآثار الشرقية أن حصلت أعمال درب قرمز على جائزة الأغا خان للعمارة فى الحفاظ على التراث عام 1984م.

أما الأكاديمية الملكية الدنماركية للفنون الجميلة فقد أعادت بناء المدرسة الجوهرية 844هـ/ 1440م بالجامع الأزهر .

وقام المعهد الثقافى الإيطالى بترميم التكية المولوية وكانت لجنة حفظ الآثار قد قامت بصيانة هذا الأثر عام 1900م.

أما طائفة البهرة وهم من المسلمين الشيعة فى الهند فقد قامت بترميم جامع الحاكم بأمر الله والجامع الأقمر ولكن الترميم والأصلاح هنا كان على غير أساس علمى ومن ثم زالت كثير من المعالم الأثرية لهذين الأثرين.

وقامت جامعة الأزهر بترميم منزل الست وسيلة 1047هـ/1664م وبيت الهوارى 1168هـ/1731م بالقرب من الجامع الأزهر ([5]).

وقد ساعد القانون رقم 117 لعام 1983م على تشجيع التعدى على الأبنية الأثرية لعدم وجود عقاب رادع إذ تنص المادة 42 عقوبات على أن من يقوم متعمداً بهدم أو إتلاف الآثار توقع عليه غرامة لا تقل عن ثلاثة آلاف جنية ولا تزيد عن خمسين ألف جنيه أو يحبس مدة لا تقل عن 5 سنوات ولا تزيد عن 7 سنوات وهى عقوبات غير رادعة خاصة مع ارتفاع أثمان أراضى هذه النوعية من المبانى مما شجع على هدم العديد منها والاستفادة بأراضيها .

([1]) : من خلال الدراسات والقوانين التى صدرت عن القاهرة التاريخية تبين أن حدود القاهرة من الشمال عبارة عن خط يمتد من شارع النصر عند تقاطعه مع شارع الأمير قرقماس الذى يقطع شارع صلاح سالم ويمتد ليتقاطع مع شارع قسم المرور ماراً بشارع المنصورية وشارع البغالة حتى تقاطعه مع شارع الجيوشى أما الحد الغربى فهو يمتد من شارع البغالة والجيوشى جنوباً حتى ميدان باب الشعرية ومنه إلى شارع بور سعيد حتى ميدان السيدة زينب ثم شارع السد البرانى وتقاطعه مع شارع السلام والحد الجنوبى للقاهرة الفاطمية يبدأ من تقاطع شارع السد البرانى مع شارع السلام ويتجه شرقاً حتى شارع ابن طولون ويمتد ليصل إلى تقاطع شارع ابن طولون مع الدرب المسدود ماراً بشارع الأشرف وهنا يمتد فى إتجاه الجنوب إلى ميدان السيدة نفيسة وشارع السيدة نفيسة حتى تقاطعه مع مجرى العيون ويمتد شرقاً إلى شارع صلاح سالم والحد الغربى يبدأ من تقاطع مجرى العيون مع شارع صلاح سالم ويمتد فى الأتجاه الشمالى حتى شارع صلاح سالم وشارع النصر عند تقاطعه مع شارع الأمير قرقماس .

M. A. A. El – Sohby and others , Al – Fustat : The seed of Cairo , Al Azhar Engineering Sixth International Coneferance, Conference , September 1 – 4 2000, pp 740 – 753, pp 749 – 751.

([2]) : أدرج أيضاً ضمن التراث العالمى مدينة طيبة وديرها الغربى وآثار النوبة من أبو سمبل حتى فيلة ومدينة الموتى (ممفيس) ومنطقة الأهرام من الجيزة حتى دهشور وآثار أبو مينا وفى عام 2002م أضيف إليها منطقة دير سانت كاترين . لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 37 ؛ أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص ص 149 . 150 .

([3]) : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 37 ، أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 151.

([4]) : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 153.

([5]) : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع نفسه، ص ص 147 . 148.

وقد حدد هذا القانون الجهات المختصة وهى هيئة الآثار المصرية واللجنة المختصة بالآثار ومجلس إدارات المتاحف كما أعطى لوزير الثقافة سلطة إصدار القرارات اللازمة لتنفيذ هذا القانون ([1]) ولكن هذا القانون أهمل دور المحليات فى صيانة وترميم الأبنية الأثرية فنجد فى بعض الأماكن الأثرية أن المحليات تقوم بتقنين التعديات على الأبنية الأثرية بتحويل الباعة المتجولين إلى أكشاك للبيع على واجهات الأبنية الأثرية مما أدى إلى التلف الشديد لهذه الأبنية ([2]).

المجلس الأعلى للآثار ودوره فى حماية الآثار الإسلامية

على الرغم من المشروعات المهمة التى أقيمت فى ظل هيئة الآثار كمشروع ترميم وتنمية سور القاهرة وتوسعة شارع جلال ونفقى الأزهر عام 1992م ([3]) إلا أن زلزال عام 1992م أظهر مدى الحالة السيئة التى كانت عليها الآثار الإسلامية ومن ثم صدر عام 1994م القرار الجمهورى بإنشاء المجلس الأعلى للآثار برئاسة وزير الثقافة ليتولى كافة الأختصاصات التى كانت موكلة إلى هيئة الآثار كما أنشأت وزارة الثقافة مركز دراسات وتنمية القاهرة التاريخية (Historic Cairo Studies and Devolpment Center (HCSDC) ([4]).

وفى يناير عام 1994م بدأ مشروع ترميم بيت السحيمى بالدرب الأصفر بالجمالية وقد ساهم فيه الصندوق العربى للإنماء الاقتصادى والاجتماعى بالكويت وكان التنفيذ والمتابعة لمؤسسة المشربية (نديم) للتراث بالأشتراك مع وزارة الثقافة والمجلس الأعلى للآثار ([5]).

وقد تطور المشروع ليشمل ترميم المبانى الأثرية بحارة الدرب الأصفر وتشمل : بيت السحيمى وبيت مصطفى جعفر وسبيل وكتاب قيطاس وتحسين شبكة المرافق الأساسية وتجميل المحيط العام للآثار والحارة ثم إعادة استخدامها للأغراض الثقافية وخصصت الحارة للمشاة فقط ([6]).

ورغم كل هذه الجهود إلا أنه تم توظيف بعض العمائر فى غير وظيفتها فاستغلت وكالة الغورى كمركز دائم للصناعات والحرف التقليدية وإقامة الندوات وكمسرح للفنون الشعبية وفى بعض الأحيان كمعارض فنية لعرض الأعمال الفنية التى تتعلق بالتراث ([7]).

وفى عام 1998م صدر القانون رقم 2 لعام 1998م كما سبق القول ثم صدر تعديل رقم 180 لسنة 1998م وهو قرار السيد المهندس وزير الإسكان وأهم ما فيه هو حظر الموافقة على هدم القصور والفيلات كما يحظر إقامة بناء فى أرض عقار سبق هدمه أو شرع فى هدمه بغير ترخيص إلا فى حدود أرتفاعه الذى كان عليه من قبل وذلك فى جميع أنحاء جمهورية مصر العربية ([8]).

وفى عام 1988 - 1990م قامت وزارة التعمير من خلال الهيئة العامة للتخطيط العمرانى بالتعاون مع معهد التحضر لإقليم باريس (Iuarif) بعمل دراسة بعنوان : " إعادة تأهيل المنطقة التاريخية بالقاهرة " بغرض التنمية العمرانية لمنطقة الجمالية مع الإبقاء على طابعها المعمارى ([9]).

ومن خلال العرض السابق يمكننا أن نستنتج بعض الحقائق المرتبطة بالعمائر الإسلامية فى ظل مفهوم الأثر ومن ذلك ما يلى :

1 - على الرغم من تعدد الهيئات والجمعيات المهتمة بالحفاظ على العمائر الإسلامية ([10]) وكذلك تعدد القوانين المرتبطة بالآثار إلا أن معظمها كان لصالح العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة ومن ثم لم تنل المدن الأخرى نفس العناية بل أن هناك أماكن أخرى بالقاهرة تحتاج إلى رعاية ومن ذلك منطقة الخليفة وما تعانيه آثارها الإسلامية (شكل رقم 31) والسبب فى ذلك قصور مفهوم القاهرة التاريخية على مساحة صغيرة من مدينة القاهرة .

2 - هناك ارتباط واضح بالآثار ذات الصفة السياحة فالأماكن التى نالت

---

[1]() : لبنى عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 36.

[2]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 158.

[3]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع نفسه ، ص 161.

[4]() : نفسه ، ص ص 161. 163.

[5]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 164.

[6]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع نفسه ، ص 166.

[7]() : حسام عزمى ، المرجع السابق ، ص 121.

[8]() : أسامة أحمد إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 537.

[9]() : أمانى السيد عبد الرحمن ، المرجع السابق، ص ص 158 . 159.

[10]() : من هذه الهيئات والجمعيات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية والمعهد الألمانى للآثار والمركز الأمريكى للبحوث والمعهد البولندى والمعهد الإيطالى والمعهد الدنماركى وكليات الآثار بالجامعات المصرية ومركز هندسة الآثار جامعة القاهرة والصندوق الدولى للأنماء الاقتصادى والاجتماعى وجمعية عمارة الأرض ومنظمة الجيتى عمر بغدادى ، قائمة بالجهات والدراسات فى مجال الحفاظ على التراث المعمارى العمرانى المؤتمر الدائم للمعماريين ، المؤتمر التاسع . التراث المعمار والتنمية العمرانية 18 . 19 إبريل 1999م ، ص 7.

الأهتمام الكبير فى ظل القوانين السابقة هى تلك الأماكن التى يتردد عليها السائحون كالقلعة والقاهرة بمفهومها الضيق المحصور داخل الأسوار.

3 ـ تداخل المسئوليات وتشابكها داخل نطاق المناطق الأثرية أدى إلى تدهور هذه المناطق ومن ذلك أن الأثر الواحد تتقاسم مهامه وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للأثار والمحليات والأهالى.

4 ـ لم تظهر أهمية البيئة المحيطة بالأثر إلا منذ عهد قريب ومن هنا كان توجيه الأهتمام للأثر دون الأهتمام بسكان المنطقة ومن ثم ضاعت القيمة التاريخية والأثرية من عقول سكان المناطق الأثرية وأصبحوا ينظرون إلى الآثار على أنها مصدر من مصادر تهديد أستقرارهم بالمناطق الأثرية.

شكل رقم (31) قبة أم الصالح بالخليفة وما تعانيه من إهمال

5 ـ أهملت القوانين المصرية والمواثيق الدولية الجانب الدينى فى ظل الحماية المطلوبة للآثار فلم تتضمن القوانين التى صدرت أية مادة ذات صبغة دينية تشير إلى موقف الأديان من التراث.

الخاتمة

يتضح من العرض السابق أن العمائر الإسلامية بمدينة القاهرة تحمل العديد من القيم التاريخية والفنية والمعمارية وغير ذلك من هذه القيم وأن هذه القيم لا تزال باقية حتى اليوم شاهدة على عظمة الإسلام وتوفرت لها العديد من الأسباب التى ساعدت على بقائها كما أوضحت هذه الدراسة الجهود المحلية للمحافظة على العمائر الإسلامية ومدى القصور الذى ظهر بها وفى نهاية هذه الدراسة نوصى بما يلى :

1 ـ تركيز اختصاصت الجهات المسئولة عن الآثار فى جهة واحدة ولن يكون ذلك إلا من خلال وزارة مستقلة تكون مسئولة مسئولية كاملة عن الآثار المصرية سواء كانت آثار فرعونية أو قبطية أو إسلامية.

2 ـ إحياء دور الوقف الخيرى من جديد وتشجيع الأعمال الخيرية ذات الصلة بترميم العمائر الإسلامية وتشجيع رجال الإعمال على أهمية الأستثمار فى المناطق الأثرية لرفع مستوى البيئة المحلية المحيطة بالأثر.

3 ـ توسيع نطاق الأهتمام بالآثار الإسلامية ليشمل المدن الإسلامية الأخرى بمصر ولا يقتصر هذا الأهتمام على مدينة القاهرة فقط وأن ينصب الأهتمام والرعاية على الأثر والبيئة المحيطة به لأن رعاية البيئة المحيطة بالأثر هى إحدى العوامل المهمة التى تشجع سكان المنطقة الأثرية على المحافظة على الآثار.

4 ـ أغلاق مدينة القاهرة وكذلك المدن الأثرية بمصر بمفهومها الشامل أمام وسائل النقل الحديثة لما تسببه من تلوث سمعى وبصرى له أثره الضار على الآثار.

5 ـ إعادة تأهيل بعض العمائر الإسلامية مثل الوكالات والخانات والحمامات والأسبلة والكتاتيب لكى تقوم بأداء وظيفتها التى شيدت من أجلها كما يمكن استخدام الوكالات فى مشروعات تجارية خاصة بشباب المناطق الأثرية أو خريجى كليات الآثار بتمويل من رجال الأعمال للمساهمة فى القضاء على البطالة أو التقليل منها مع توفير جزء من عائد الأستخدام لصالح الأثر نفسه.

6 ـ لا بد من صدور فتوى شرعية من رجال الدين كشيخ الأزهر ومفتى الديار المصرية يحدد موقف الإسلام من سرقة الآثار القديمة أو التعدى على المبانى الأثرية.

7 ـ تصحيح كثير من المفاهيم الخاطئة التى ورثها البعض عن القدماء فمنهم من ينظر إلى الفراعنة على أنهم أهل كفر وشرك بالله والبعض الآخر ينظر إلى العمائر الإسلامية على أنها مخالفة للشرع فى بناء القباب والأضرحة ودفن الأموات بها والاهتمام بالزخارف فى الجوامع والمساجد وكل هذه المفاهيم مردود عليها ولكن لن تصحح هذه المفاهيم إلا من خلال تربية أبنائنا على الذوق السليم ومن هنا من الضرورى أن تضمن المناهج الدراسية ـ لا سيما مناهج تلاميذ المرحلة الأولى ـ مواد دراسية تربط بين الحضارة الإسلامية وما تحمله من قيم ومبادىء سامية مع الأهتمام بالرحلات العلمية لتلاميذ المدارس لزيارة المناطق الأثرية وهذا فى الواقع يساهم أيضاً فى أستيعاب الكثير من خريجى كليات الآثار للعمل بهذه المدارس ومن ثم المساهمة فى توفير فرص عمل مناسبة لخريجى الجامعات المصرية.

المصادر والمراجع العربية

ـ ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت 930هـ /1524م) : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، 5 أجزاء 0تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1982 ـ 1984م.

ـ ابن بطوطة ، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1 ، بيروت لبنان ، دار الشرق العربى . د.ت.

ـ ابن تغرى بردى : حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور،3 أجزاء ، تحقيق كمال الدين عز الدين ، الطبعة الأولى ، عالم الكتاب 1410هـ/1990م.

. ابن خلكان (ابى العباس شمس الدين أحمد بن أبى بكر بن خلكان 608 . 681هـ/ 1211 . 1283م) ، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان ، 8 أجزاء ، تحقيق أحسان عباس ، بيروت . لبنان ، دار صادر 1968.1972م

- أبو صالح الألفى ، موجز تاريخ الفن العام ، القاهرة ، دار القلم 1965م.
- أبو القاسم الزيانى (1147 - 1249هـ/ 1734 - 1809م) ، الترجمانة الكبرى ، تحقيق عبد الكريم الفيلالى ، المغرب ، 1967م ، ص 212.
- أحمد جمال الدين محمد أحمد ، أثر البيئة على العمارة فى مصر مع دراسة تحليلية لعمارة قرى الصعيد ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة حلوان ، كلية الفنون الجميلة ، قسم العمارة ، 1975م.
- أحمد خلف عطية ، التصميم المستحدث فى المناطق التراثية وذات القيمة منهج لرصد الطابع المعمارى لتحقيق الإستمرارية البصرية مع المحتوى حالة دراسية : حى " العزيزية " بمدينة حلب - سورية ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 2003م .
- أحمد شفيق باشا ، مذكراتى فى نصف قرن ، ج2 ، عباس حلمى الثانى ، القسم الثانى من يناير سنة 1903 إلى سنة 1914م ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصر 1355هـ/1936م.
- أحمد عبد الرازق ، الرنوك على عصر سلاطين المماليك ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد 21 ، 1974م ، من ص 67 إلى ص 116.
- أحمد عبد الوهاب السيد ، صيانة وإعادة استخدام المبانى الأثرية وذات القيمة ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 1990م.
- أحمد فؤاد باشا ، الأرقام هندية أم عربية ، مجلة الأزهر ، الجزء العاشر،السنة 65، شوال 1413هـ / 1993م ، من ص 1566 ، إلى ص 1570 ، ص 1567.
- أحمد محمد أحمد ، منشآت الأمير أيتمش البجاسى بباب الوزير دراسة معمارية أثرية ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآثار جامعة القاهرة 1414هـ/ 1994م.
- أسامة أحمد إبراهيم ، الشروط البنائية للبناء بالمناطق السكنية التاريخية دراسة تطبيقية على المنطقة التاريخية بمدينة طنطا ، مؤتمر الأزهر الهندسى الدولى السادس 1 - 4 سبتمبر 2000م ، من ص529 إلى ص550.
- أسامة حلمى ، الحفاظ على الموروث المعمارى فى المدينة المصرية ، مخطوط رسالة ماجستير كلية الهندسة بالمنيا 1996م.
- أشرف السيد البسطويسى ، الخصوصية فى تخطيط وتصميم المناطق السكنية ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 1998م.
- أمانى السيد عبد الرحمن أحمد الريس ، المواثيق والتوصيات الدولية للتعامل مع التراث المعمارى والعمرانى ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 2002م
- أمين سامى باشا ، تقويم النيل ، 3 أجزاء ، 6 مجلدات ، القاهرة ، دار الكتب 1936م.
- إيمان محمد عيد عطية و حسين صبرى الشنوانى ، المفردات التراثية وكيفية تطويرها لتلائم العمارة المصرية المعاصرة مؤتمر الأزهر الهندسى الدولى السادس 1 - 4 سبتمبر 2000م ، من ص 551 إلى ص 558.
- ثروت عكاشة ، القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية ، القاهرة ، دار المعارف 1981م.
- الجبرتى (عبد الرحمن) ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، 3 أجزاء ، بيروت - لبنان ، دار الجيل ، د.ت.
- جريدة الوقائع المصرية ، العدد 82 بتاريخ 27 المحرم 1313هـ/ 20 يوليه 1895م.
- جلال شوقى ، أشكال العدد ومنازله فى الحضارة العربية ، مجلة كلية الآثار ، الكتاب الذهبى ، ج2 ، 1978م من ص 95 إلى ص 116.
- جمال عبد الغنى ، تنسيق المواقع بالأماكن التاريخية ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة الإسكندرية 1990م.
- جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة عيسى الحلبى 1969م.
- حجاجى إبراهيم ، حساب الجمل على أشهر الآثار الإسلامية بمصر ، مجلة كلية الآداب والعلوم الأنسانية ، جامعة المنيا ، كلية الآداب ، مجلد 12 - 1994م
- حسام أبو الفتوح ، التنمية بين التخطيط لها وتقييمها ، المؤتمر التاسع للمعماريين المصريين ، القاهرة 1999م .
- حسام عزمى ، وكالة الغورى كحالة تاريخية للحفاظ على التراث المعمارى المصرى ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الهندسة جامعة القاهرة 1995م.
- حسن الباشا ، الكتابات الأثرية العربية وصلتها بالآثار والحضارة ، بحث ضمن موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، 5 أجزاء ، الطبعة الأولى ، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع 1420هـ/1999م ، ج3 ، من ص 216 إلى ص 221، ص 220.
- حسن الباشا ، الكتابات الأثرية العربية وصلتها بالآثار والحضارة ، بحث ضمن موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، 5أجزاء ، الطبعة الأولى ، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع 1420هـ/1999م ، ج3 ، من ص 216 إلى ص 221.
- حسن عبد الوهاب ، تاريخ المساجد الأثرية ، ج1 ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1993م.

ـ حسين حسان محمد حسين ، الأوقاف الإسلامية فى مصر 1331 - 1373هـ/1913 - 1953م ، مخطوط رسالة دكتوراه ، جامعة الأزهر ، كلية اللغة العربية 1995م .
ـ حسين عليوه ، الكتابات الأثرية العربية دراسة فى الشكل والمضمون ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان الثلاثون والواحد والثلاثون 1983 - 1984م ، من ص 203 إلـى ص 262.
ـ حسين عليوه ، الخط ، كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها ، من ص 275 إلى ص 286، مؤسسة الأهرام 1970م
ـ خالد عبد العزيز عثمان ، التنمية المستحدثة فى النطاقات ذات القيمة فى مفهوم العلاقة التبادلية بين المحتوى وضوابط التحكم فى العمران ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 1999م .
ـ خالد عزب ، فقه العمارة الإسلامية ، الطبعة الأولى القاهرة 1997م.
ـ دار الوثائق القومية بالقاهرة ، محافظ عابدين ، المحفظة رقم 163 أوقاف ، لجنة حفظ الآثار القديمة (1888/11/14 - 1900م) الوثيقة رقم 8 بتاريخ 27 محرم عام 1299هـ وقلم نشر المطبوعات الحكومية تقويم عام 1930م)
ـ رسائل إخوان الصفا ، ج3 ، الجسمانيات الطبيعيات والنفسانيات والعقليات ، القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، أغسطس 1996م.
ـ زكى محمد حسن ، فنون الإسلام ، القاهرة 1948م.
ـ سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، 5 أجزاء ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية 1971 - 1983م.
ـ سعاد ماهر ، العمارة الإسلامية على مر العصور ، جزءان ، جدة ، دار البيان العربى، الطبعة الأولى1405هـ /1985م
ـ سناء عبد المقصود إبراهيم ، دراسة أساليب ترميم وحفظ الآثار العربية ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة عين شمس ، كلية الهندسة 2001م .
ـ صالح لمعى ، التراث المعمارى الإسلامى فى مصر ، القاهرة . د.ت
ـ الصيرفى (على بن داود الجوهرى) ، إنباء الهصر بأنباء العصر ، تحقيق حسن حبشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2002م.
ـ طوجو مينا ، المقتنيات الجديدة بالمتحف المصرى ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الأول العددان الأول والثانى ، مايو وأكتوبر 1948م من ص 210 - ص 222.
ـ عبد الحكيم الرافعى ، الأقتصاد السياسى ، ج2 ، القاهرة 1937م.
ـ عبد الحمن اارافعى ، عصر إسماعيل ، ج1 ، مكتبة الأسرة ، مهرجان القراءة للجميع 2000م.
ـ عبد العزيز الشناوى ، دور الأزهر فى الحفاظ على الطابع العربى لمصر إبان الحكم العثمانى ، بحث ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، مارس ـ إبريل 1969م ، القاهرة 1972م.
ـ على باشا مبارك ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ،عشرون جزءاً، بولاق 1888 - 1889م . 6 أجزاء مصورة عن طبعة بولاق ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1969 - 1994م
ـ عمر بغدادى ، قائمة بالجهات والدراسات فى مجال الحفاظ على التراث المعمارى العمرانى المؤتمر الدائم للمعماريين ، المؤتمر التاسع ـ التراث المعمارى والتنمية العمرانية 18 - 19 إبريل 1999م.
ـ عمرو مصطفى الحلفاوى ، مدخل إعادة التوظيف كأحد توجهات عملية الحفاظ الحضارى فى الدول النامية ، المؤتمر العلمى الدولى الرابع ، كلية الهندسة ، جامعة الأزهر 1995م.
ـ فاروق فايق أرميانوس ، التشريعات المتعلقة بالآثار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة 1960م .
ـ فاسيلى كاندنسكى ، الروحانية فى الفن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994م.
ـ فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، القاهرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر 1986م.
ـ المقدسى (أبى حامد) ، الفوائد النفيسة الباهرة فى بيان حكم شوارع القاهرة فى مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة ، تحقيق آمال العمرى ، هيئة الآثار المصرية 1988م.
ـ المقريزى ، المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار ، جزءان ، مكتبة الثقافة الدينية ، د. ت
ـ كريم الغزالى كسيبة ، فقه العمارة مفهوم العمارة الإسلامية بين النظرية والتطبيق ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 2002م.
ـ لبنى عبد العزيز أحمد مصطفى ، الأرتقاء بالنطاقات التراثية ذات القيمة توثيق وتقييم لتجارب الحفاظ فى القاهرة التاريخية ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 2001م.
ـ مايسة محمود داود ، الكتابات العربية على الآثار الإسلامية من القرن الأول حتى أوخر القرن الثانى عشر للهجرة (7-18م) ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية 1991م.
ـ مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، القاهرة 1999م.
ـ محمد أبو زهرة ، أنهاء الوقف الأهلى والأدوار التى مر بها ، مجلة القانون والأقتصاد ، العددان الأول والثانى 1373هـ/1953م.
ـ محمد أحمد بيومى ، علم اجتماع القيم ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية 1991م .

ـ محمد حمزة الحداد، العلاقة بين النص التأسيسى والوظيفة والتخطيط المعمارى فى العصر المملوكى ، أبحاث ندوة تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1992م.
ـ محمد حمزة الحداد ، النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، المجلد الأول ، مكتبة زهراء الشرق 2002م.
ـ محمد عباس زعفرانى ، إعادة تخطيط أحياء القاهرة ذات القيمة التاريخية ، مخطوط رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، كلية الهندسة 1968م .
ـ محمد عبد الستار عثمان ، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة ، مخطوط رسالة دكتوراه ، كلية الآداب بسوهاج ، جامعة أسيوط 1979م.
ـ محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974م.
ـ محمد نبيل محمد غنيم ، الإنطباعات البصرية للعمارة ، مخطوط رسالة ماجستير ، كلية الهندسة ، جامعة القاهرة 1999م.
ـ مصطفى عبد الرحيم محمد ، ظاهرة التكرار فى الفنون الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1997م.
ـ مصطفى رمضان ، دور الأزهر فى الحياة المصرية أبان الحملة الفرنسية ومطلع القرن التاسع عشر ، القاهرة 1986م.
ـ مصطفى كامل مدبولى ، إعادة تأهيل المناطق المركزية ذات القيمة السياحية التاريخية فى الدول النامية ، مخطوط رسالة ماجستير جامعة القاهرة ، كلية الهندسة 1992م.
ـ مصطفى محمد رمضان ، دور الأوقاف فى دعم الأزهر كمؤسسة علمية إسلامية ، بحث فى ندوة التطور التاريخى لمؤسسة الأوقاف فى العالم العربى والإسلامى ـ القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد 1404هـ/1985م.
ـ معاذ أحمد محمد عبد الله ، تزايد حد الحماية فى المواثيق الدولية للآثار ، مؤتمر الأزهر الهندسى الدولى السادس 1 ـ 4 سبتمبر 2000م .
ـ نجوى شريف ، المعانى فى العمارة وتأثيرها على التصميم المعمارى والعمرانى ، المؤتمر العلمى الدولى الرابع ، كلية الهندسة ، جامعة الأزهر 1995م.
ـ نسرين اللحام ، الحفاظ على المبانى التراثية وتوظيفها ، مخطوط رسالة ماجستير 1996م.

المراجع الأجنبية

-. Creswell (K.A.C), The works of Sultan Bibars Al-Bunduqdari In Egypt, Le Caire 1926.
- Berchem (M.V), Materiaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum Egypte ; Paris 1903
- El-Basha (H), Arabic Letters in the Art of the Reniassance in Italy, vol 3, Awraq Sharqiya 1999 .
- M. A. A. El – Sohby and others , Al – Fustat : The seed of Cairo , Al Azhar Engineering Sixth International Coneferance, 1 – 4 September, 2000.
- Mayer (L.A) ,Saracenic heraldry,Oxford, 1933.
-Munro (T), Evalution in the Arts and other theories of Culture History, Cleveland Museum of Arts,1982.
Sameh (K.D), Stalactites in Muslim Architecture, Cairo University Press 1954.-
- Lobna A. Sherif ,The Changing Significance of Domes in Cairo, Al_Azhar Engineering Sixth International Conference , 1 – 4 September 2000.
-Worskett (R), The Character of The Towns, An approach to conservation ,Architectural., London, G.britain 1970.
-Wiet (G), Decrets Mamlouks d,Egypt, Eretz – Israel , Vol 7, Jerusalem 1964.

****